أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
31 مارس 2025
2 شوال 1446هـ
العدد 21

ونقويه على سوق النهار..

القابلة وطن

عـــودة الاستبـــداد الإسلامـــوي

والحركة الإسلامية التي أشعلت الحرب، متعجلة لقطف ثمار دماء الشعب السوداني التي أهرقت في حرب فرضتها عليهم وأجبرتهم على خوضها بالعديد من الألاعيب التي تكشف بعضها وآخر لا يزال طي غبار المعركة التي عندما تنجلي سيكتشف هذا الشعب حجم الخديعة التي تعرض لها من هذا التنظيم الشيطاني، وبلا شك أن بشاعتها وقبحها يفوق بملايين السنين الضوئية تلك التي أطلقها شيخهم في بداية انقلابهم المشؤوم من العام 1989م عندما قال للعميد حينها عمر البشير «اذهب إلى القصر رئيسا وسأذهب إلى السجن حبيسا».

في خطاب يعكس عودة النهج السلطوي للحركة الإسلامية، خرج علينا الأمين العام للحركة والمسؤول الأول عن هذه الحرب علي كرتي، معلنًا ما وصفه بـ«مرحلة جديدة» للسودان، لكن هذه المرحلة ليست سوى إعادة إنتاج لذات النظام الذي حكم البلاد لثلاثة عقود، وأوصلها إلى الحرب والانهيار. فالرسائل التي حملها هذا الخطاب لا تبشر بمرحلة من السلام والاستقرار، بل تؤكد أن السودان يتجه نحو حكم ثيوقراطي جديد تحت ستار النصر العسكري.

يقدم كرتي خطابه وكأنه إعلان انتصار عسكري، لكنه في الحقيقة إعلان استيلاء سياسي للحركة الإسلامية على مستقبل السودان، في رسائل للداخل، يتحدث عن «تحرير كل شبر»، وهي لغة تعني أن الحرب لم تنتهِ بعد، مما يشير إلى أن السلطة الفعلية لا تزال ترى العنف كأداة للحكم. أما في الخارج، فحاول إيصال رسالة مفادها أن أي ترتيبات سياسية لا تأخذ الإسلاميين في الحسبان مصيرها الفشل.

في لحظة يترقب فيها السودانيون نهاية الحرب والبحث عن بدائل سياسية حقيقية، يأتي كرتي ليؤكد أن الحركة الإسلامية ليست مجرد داعم للجيش، بل شريك رئيسي في مستقبل السودان، ويرسل تهديداته المعلنة لخصومه السياسيين والمبطنة لحلفائه من العسكريين ان هم تجاوزوا تنظيمه السياسي متناسيا أن هذه الحركة التي يريد فرضها على الشعب السوداني هي نفسها التي أسهمت في خلق الأزمة عبر سياساتها القمعية ودعمها لتأسيس المليشيات كالدعم السريع، ويريد من الشعب المغلوب على امرة ان يقبلها كمنقذ.

من الذي أوجد قوات الدعم السريع إن لم تكن سياسات الحركة الإسلامية في تسليح القبائل وتفكيك الجيش النظامي؟ ومن الذي قاد السودان إلى عزلة دولية وعقوبات اقتصادية استمرت لسنوات إن لم تكن هذه الأيديولوجيا التي لم تراعِ سوى مصالحها الخاصة؟

كرتي يتحدث عن «بناء الدولة» وفق رؤية جديدة، تشمل «التسامح ودولة القانون»، لكن عن أي قانون يتحدث؟ هل هو القانون الذي حكم السودان طوال ثلاثين عامًا بالمشانق والسجون والتعذيب؟ هل هو التسامح الذي قاد إلى فصل الجنوب بعد عقود من الحرب الدينية التي فرضتها الحركة الإسلامية على السودانيين؟

الحقيقة أن هذه ليست دعوة للتسامح، بل محاولة لإعادة إنتاج نموذج حكم يضمن للحركة الإسلامية السيطرة على السودان، ولكن هذه المرة في نسخته « الداعشية» التي تصفي مخالفيها في الراي بأبشع الطرق وأخس الأساليب.

لا يخفي كرتي في خطابه التحذيرات المبطنة للجيش نفسه، وللشخصيات التي قد تسعى إلى إعادة ترتيب المشهد بعد الحرب بطريقة تقلل من نفوذ الإسلاميين. الرسالة واضحة: من يعتقد أن بإمكانه تحييد الإسلاميين عن السلطة بعد انتهاء الحرب فهو واهم. هذا تهديد مباشر لكل من في الجيش والسياسة، وهو إعلان بأن الحركة لن تتردد في استخدام كل أدواتها للحفاظ على نفوذها.

التوقيت الذي اختير لهذا الخطاب ليس عشوائيًا، بل هو إعلان واضح بأن الحركة الإسلامية ترى الحسم العسكري قاب قوسين أو أدنى، وأنها بدأت فعليًا في هندسة مرحلة ما بعد الحرب. لكن الحقيقة أن الحرب لم تكن ضرورة قدرية، بل كانت نتيجة مباشرة لسياسات النظام السابق، الذي يمثله كرتي اليوم. إن أكبر كارثة يمكن أن تقع على السودان اليوم، بعد كل هذه التضحيات، هي إعادة إنتاج النظام القديم في نسخة جديدة.

السودانيون لم يخرجوا في ديسمبر 2018 لإعادة كرتي ورفاقه إلى السلطة، ولم يضحوا بآلاف الأرواح ليجدوا أنفسهم مجددًا تحت حكم ثيوقراطي قمعي. إذا كان هناك شيء واحد يجب أن يكون واضحًا، فهو أن السودان بحاجة إلى قطيعة حقيقية مع الماضي، وليس إلى نسخة معدلة منه. ناهيك ان تكون نسخة مشوهة مثل التي أظهرتها كتائبهم في كل مدينة أو منطقة دخلت إليها.

وختاما نقول ما يطرحه كرتي ليس رؤية سياسية، بل خطة للاستيلاء على مستقبل السودان، متذرعًا بالحرب والنصر العسكري. هذه ليست بشائر استقرار، بل مقدمة لدورة جديدة من الاستبداد. إذا كان السودان سيخرج من هذه الحرب إلى دولة ديمقراطية تحترم حقوق مواطنيها، فلا يمكن أن تكون الحركة الإسلامية جزءًا من المستقبل، لأنها كانت دائمًا هي المشكلة، ولم تكن يوما جزءا من الحل.

أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

تنمية

اقتصاد ما بعد الحرب
في السودان:
بين إعادة الإعمار
واستمرار النهب
24-28

الغلاف

صحة
الأعشاب بديلاً للأدوية.. أزمة إنسانية في جنوب الخرطوم
4-7

مناسبات
عيد السودانيين..
حرب تطغى على الأفراح
8-10

عن كتب
من سقوط الخرطوم إلى استعادتها:
دروس الماضي ورهانات المستقبل (2)
14-16

إعمار
إعادة بناء القرية السودانية:
رؤية لمستقبل مستدام
بعد الحرب
17-19

وجهات نظر

العيد.. في بلاد العجائب!
رقيـــة وراق
11-13

ذكـــرى المجـــزرة!
وائل محجوب
20-21

جريمة فض الاعتصام أو (حدث ما حدث)
حيدر المكاشفي
22-23

لابد أن يدفع أحدهم الثمن
طاهر المعتصم
33-34

موسيقى

أغنية العودة للسودان
السر السيد
38-39

تأملات

الأسطورة ..
عن حديقة الكلمات..
عن أيمن هاشم

35-37

صورة مقربة

أوقفـوا الانـــزلاق
تيغراي على صفيح ساخن..
هل تتحول إلى ساحة حرب
بين إثيوبيا وإريتريا؟
29-32

الأعشاب بديلاً للأدوية.. أزمة إنسانية في جنوب الخرطوم

ملخص

في ظل استمرار الحرب تعاني مناطق جنوب الخرطوم من تدهور حاد في الأوضاع الإنسانية والصحية. أدى الانفلات الأمني وتوقف المستشفيات والمراكز الصحية إلى انعدام الأدوية، مما دفع المرضى إلى اللجوء للأعشاب كبديل علاجي.

تؤكد الأزمة في جنوب الخرطوم الحاجة الملحة لتدخل دولي لوقف الحرب وفتح ممرات آمنة للإغاثة. دون ذلك، ستستمر المعاناة الإنسانية وستتفاقم المخاطر الصحية الناجمة عن استخدام الأعشاب كبديل غير آمن للأدوية.

أسباب الأزمة تتمثل في انعدام الأدوية اختفت الأدوية الأساسية مثل الأنسولين وأدوية الضغط والسكري من الأسواق الرسمية، كما توقفت الخدمات الصحية وتعرضت المستشفيات والعيادات للنهب والتخريب، مما جعل الرعاية الصحية شبه معدومة.

انتشار السوق السوداء حيث تباع الأدوية بأسعار باهظة في السوق الموازية، مما يجعلها غير متاحة للغالبية. أضف إلى ذلك الانتهاكات الأمنية حيث ارتكبت قوات الدعم السريع انتهاكات ضد المدنيين، بما في ذلك نهب المستشفيات وتهجير الأسر.

للجوء إلى الأعشاب بعض الإيجابيات حيث توفر بديلًا مؤقتًا للمرضى في ظل غياب الأدوية. أما أبرز السلبيات فتتمثل في عدم ضمان فعاليتها أو سلامتها، مما يعرض المرضى لخطر تفاقم الحالات الصحية. يدون التقرير شهادات للمواطنين مع تحذيرات لخبراء من خطورة الاعتماد على الأعشاب، خاصة لمرضى الأمراض المزمنة، مع الإقرار بأنها الخيار الوحيد المتاح حاليًا.

أفق جديد

في ظل السيولة الأمنية وتوقف المستشفيات والمراكز الصحية، تدهورت الأوضاع الإنسانية جنوبي العاصمة الخرطوم، ما أدى إلى لجوء المرضى إلى استخدام الأعشاب لانعدام الأدوية وتفشي تجارتها في السوق الموازية دون رقابة من السلطات الصحية.

تقول المواطنة عبير عبد الباسط (36) عامًا، التي تسكن منطقة الأزهري بالخرطوم، «اتجه الناس إلى الأعشاب بسبب انعدام الأدوية. الوضع الصحي سيء للغاية بسبب استمرار الحرب.»

وأضافت عبير في حديثها لـ«أفق جديد»، «استخدم مرضى القلب والسكري والضغط الأعشاب كأدوية بديلة.»

وأوضحت أن الوضع الإنساني تدهور بشكل كبير في أحياء جنوب الخرطوم، واضطر المئات من المرضى إلى استخدام الأعشاب كبديل للأدوية التي انعدمت بصورة كلية.

خلفت الحرب عشرات الآلاف من القتلى ونحو

14

مليون نازح ولاجئ وفق الأمم المتحدة

من جهته يقول المواطن الصادق خليل (41) عامًا إن منطقة جنوب الخرطوم ظلت تُعاني من الانفلات الأمني المستمر، حيث تتكرر عمليات النهب والاعتقالات التعسفية وتهجير الأسر قسرًا تحت تهديد السلاح، مما زاد من تدهور الأوضاع المعيشية.

وكشف خليل في حديثه لـ«أفق جديد»، عن توقف الرعاية الصحية بعد خروج المستشفيات والمراكز الصحية عن الخدمة وإغلاق معظم العيادات بسبب عمليات النهب والتخريب، مما حرم آلاف المرضى من تلقي العلاج اللازم.

من جهته يقول المواطن، عبد الله العباس، إن «المنطقة شهدت أوضاعًا إنسانية متدهورة ظلت تتفاقم يومًا بعد يوم، حيث يعاني السكان من أزمة صحية كبيرة، وانفلات أمني كبير.»

وأوضح العباس في حديثه لـ«أفق جديد»، «الوضع الأمني المتردي تسبب في انعدام الأدوية ولجوء الناس إلى استخدام الأعشاب.»

وأشار إلى أن قوات «الدعم السريع» ارتكبت انتهاكات واسعة طالت المدنيين في المنطقة، شملت النهب والقتل وسرقة المستشفيات ما أدى إلى تفاقم الأوضاع الصحية.

وكانت قوات «الدعم السريع» تسيطر على مناطق عديدة في جنوب الحزام التي تضم أحياء «مايو، الإنقاذ، الأزهري، السلمة» وغيرها، حيث تُلاحقها اتهامات بارتكاب انتهاكات واسعة طالت المدنيين.

بينما قال مدثر يوسف، وهو كادر طبي في جنوب الحزام، إن النقص الحاد في الأدوية مثل الأنسولين وضغط الدم، أدى إلى تعريض حياة المصابين بالأمراض المزمنة لخطر حقيقي، مما اضطر بعض المواطنين إلى اللجوء لاستخدام الطب البديل – الأعشاب- للعلاج.

وأشار يوسف في حديثه لـ»أفق جديد»، انتشار تجارة الأدوية في السوق السوداء بأسعار باهظة، ما أدى إلى صعوبة العلاج لآلاف المرضى في ظل توقف الحياة بسبب الحرب.

آلاف المرضى محرومون من العلاج إثر امتداد القتال إلى

13

ولاية في السودان وتوقف عمل المستشفيات في معظمها

وأضاف، «رغم فداحة الآثار الجانبية لاستخدام الأعشاب، لكن المرضى يلجأون إلى استخدامها في ظل إغلاق المستشفيات وانعدام الأدوية بسبب الحرب والتوترات الأمنية الخطيرة.»

وفي مارس الجاري، قالت غرفة طوارئ جنوب الحزام، إن الأوضاع الإنسانية في المنطقة التي تضم عشرات الأحياء السكنية تدهورت بشكل غير مسبوق، وكشفت عن لجوء مرضى السكري وضغط الدم بسبب تفشي ظاهرة تجارة الأدوية في السوق الموازي دون رقابة من السلطات الصحية.

وأشارت غرفة طوارئ جنوب الحزام في تصريح صحفي باسم أحمد فاروق موسى، إلى أن الرعاية الصحية أصبحت شبه معدومة بعد خروج المستشفى الوحيد عن الخدمة وإغلاق معظم العيادات بسبب عمليات النهب والتخريب، مما حرم آلاف المرضى من تلقي العلاج اللازم.

وأوضح فاروق أن المنطقة تشهد أيضًا نقصًا كبيرًا في الأدوية الأساسية مثل الأنسولين وأدوية

مرضى ضغط الدم ويتعرضون لخطر حقيقي جراء انعدامها، ويلجأون إلى الأعشاب البديلة مثل «العرديب» و«القرض» كبدائل علاجية.

وحذّر فاروق من أن انعدام الأدوية أدى إلى انتشار تجارة الأدوية في السوق السوداء بأسعار باهظة، مما جعل الحصول على العلاج مستحيلًا لمن لا يملك المال.

وأضاف المتحدث باسم غرفة طوارئ جنوب الحزام: «تعاني المنطقة من انفلات أمني مستمر، وتتكرر عمليات النهب والاعتقالات التعسفية وتهجير الأسر قسرًا تحت تهديد السلاح، مما زاد من تدهور الأوضاع المعيشية».

وقال فاروق إن توقف بعض المطابخ الجماعية التي تقدم الطعام المجاني للمتضررين من الحرب زاد من معاناة آلاف المدنيين في منطقة جنوب الحزام الخاضعة لسيطرة قوات الدعم السريع.

وناشد المتحدث باسم غرفة طوارئ جنوب الحزام أحمد فاروق موسى المنظمات الإنسانية والجهات الفاعلة بالتدخل الفوري لإيصال المساعدات الطبية والغذائية، وطالب الجيش وقوات الدعم السريع والوكالات الأممية بالعمل على فتح ممرات آمنة لضمان وصول الإغاثة العاجلة وإنقاذ حياة المدنيين المحاصرين في ظروف قاسية.

ومع تقدم الجيش السوداني في العاصمة الخرطوم اتخذت قوات الدعم السريع إجراءات استثنائية أدت إلى فرض قيود على حركة المواطنين في الأسواق والأحياء، وتوقفت الشاحنات التي كانت تنقل السلع بين الولايات وأحياء الخرطوم.

وكانت منظمة أطباء بلا حدود أعلنت تعليق أنشطتها في مستشفى «بشائر»، وهو المرفق الطبي الوحيد الذي كان يعمل في منطقة جنوب الحزام، احتجاجًا على تزايد الانتهاكات التي ترتكبها مجموعات مسلحة داخل المستشفى وتعريضهم حياة المرضى والكوادر الصحية للخطر.

ونهاية العام الماضي، وصلت أول شحنة مساعدات إنسانية إلى جنوب الحزام لأول مرة منذ اندلاع الحرب، بعد مجهود بذلته غرفة طوارئ ولاية الخرطوم والمتطوعون الإنسانيون.

ويخوض الجيش السوداني، و«الدعم السريع» منذ منتصف شهر أبريل/نيسان 2023، حربًا خلّفت أكثر من 20 ألف قتيل ونحو 14 مليون نازح ولاجئ، وفق الأمم المتحدة والسلطات المحلية، بينما قدر بحث لجامعات أمريكية عدد القتلة بنحو 130 ألفًا.

وتتصاعد دعوات أممية ودولية لإنهاء الحرب بما يجنب السودان كارثة إنسانية بدأت تدفع ملايين الأشخاص إلى المجاعة والموت جراء نقص الغذاء بسبب القتال الذي امتد إلى 13 ولاية من أصل 18.

عيد السودانيين.. حرب تطغى على الأفراح

ملخص

عيد في ظل الحرب:

يستقبل السودانيون عيد الفطر الخامس وسط حرب ونزوح وأزمة اقتصادية، حيث تحول العيد من فرحة إلى لحظة اجترار أحزان الموت والدمار.

غياب مظاهر الفرح:

اختفت طقوس العيد التقليدية مثل الزينة والزيارات العائلية، وحلّ مكانها الخوف والجثث في الشوارع، مع صعوبة الحصول حتى على أساسيات الحياة مثل الخبز.

تختلف تجارب السودانيين حسب مناطقهم؛ فبعض المدن تشهد تحسنًا نسبيًا، بينما لا يزال آخرون يعانون من انعدام الأمن وارتفاع الأسعار وفقدان الوظائف.

رغم القسوة، يتمسك البعض بأمل عودة السلام، ويعبّرون عن توقهم لاستعادة الحياة الطبيعية، حتى لو تأخرت الفرحة حتى «بكرة» التي ستحمل الخير.

الزين عثمان

حرب ونزوح، وأزمة اقتصادية، وجثث مكدسة في طرقات الخرطوم، وحياة تبحث عن استعادة الحياة. هكذا يستقبل السودانيون عيدهم الخامس في ظل الحرب وهم يرددون: إلى متى؟

ترتفع أصوات التكبير في المساجد، يرتدي الأطفال الجديد من الملابس، يحملون ألعابهم، يردد الناس عباراتهم المحفوظة «كل سنة وأنتم بخير»، ويكملون تعود الأحلام، حلم بلاد كاملة صار أن تعود هي للخير والسلام، أن تعود، يامها كما كانت وأن تعود أعيادها .

مرة أخرى يدق العيد على أبواب السودانيين المغلقة بالموت والرصاص والحرب، وقد يكتب بالدم على باب بيت غادره أهله مجبرين «حضرنا ولم نجدكم»، ستة أعوام للوراء صار فيها عيد السودانيين مثل نخبتهم «لعنة هذه البلاد» صار لحظة لاجترار الأحزان والمآسي أكثر منه ساعة فرح.

عيد خامس في سودان الحرب. ولا أحد يمكنه أن يردد على مسامعك حكمة الجدات «لا تحزن العيد ح يلعنك»! وهل من لعنة أكثر من أن نغيب نحن وبلادنا بفعل الحرب؟ وهل من ثمة فرحة وألعاب الصغار في حقيقتها سلاح يتلاعب بأرواحنا؟

عيد خامس تغيب فيه المقولة «الطريق نحو العيد أجمل من العيد». عيد ستغيب عنه جحافل من يغادرون الخرطوم لقضاء العيد قريبًا من دفء الأهل والعشيرة، وفي ظل سواد الموت بالطبع سيغيب بياض لباس رجال المرور في رحلة التفويج السنوي، يومها كان يبتسم لخطو السودانيين التراب، يضحك لهم الإسفلت، تتداخل أبواق سياراتهم الخاصة مع أصوات أبواق البصات السفرية، والكل في حالة حبور وسرور.

في الإجابة عن السؤال المعتاد «بأي حال عدت

يا عيد؟ « تجيب سيدة خمسينية بما تبقى من قدرتها: «عاد بأملنا في أن ينعدل الحال». ومن ثم تنخرط مع جارتها في ونسة حميمة عن الأوضاع وعن الحال المايل، ومن ثم تختم: «العيد ليس لنا نحن الذين نفتقد نعمة السلام، لا عيد في سودان الحرب».

عيد آخر وما تزال بيوت الخرطوم مغلقة الأبواب، مسكونة بالخوف، العاصمة التي استطاع الجيش أن يسيطر على معظمها ما تزال تنادي على الحياة، شوارعها محاطة ومكدسة بالجثث، من بقي من سكانها معلقين على مشانق الاتهامات بالانتماء لطرفي الحرب، الطريق نحو مسجدها الكبير لا يزال ساحة حرب، وبالطبع لا معايدة ينتظرها رئيس مجلس السيادة في قصر الحكم.

أن تحصل على رغيف الخبز في مخبز يعمل فأنت تحتاج أن تقطع المسافة بين «الكلاكلة» والقوز سيرًا على الأقدام. يقول مواطن: «نعم عادت الحياة بدخول الجيش لكنها لم تعد، الأمر أشبه بالسير في حقل مليء بالألغام وبالطبع بمخلفات الحرب». يكمل الرجل: «نحن الآن في معركة استرداد الحياة، وبعدها يمكنك التفكير في ترف الفرح بمناسبة حتى وإن كانت العيد».

في يوم العيد تظل حكاية الحرب وتداعياتها هي الأكثر حضورًا في تفاصيل السودانيين الذين سيفطر بعضهم الأحد، بينما ينتظر الملايين منهم يوم الاثنين، النازح على دين البلاد التي تستضيفه، وكأن انقسامات الحرب ترفض أن تفك وثاقها عن أهل سودان ما بعد الخامس عشر من أبريل.

حالة من الوجوم يستقبل بها السودانيون عيد الفطر، فهم لا يزالون تحت تأثير الحرب التي تؤثر في المقابل على حركة التجارة بيعًا وشراءً، كما أن حركة الأسواق نفسها ترتبط بمعدل قربها وبعدها من مسارح العمليات، الحركة في مدن مثل عطبرة وشندي والقضارف وكسلا وبورتسودان بدأت أكثر انسيابية منها في مدن أخرى، وهو عامل قد يبدو معززًا لفرضية الانقسام نفسها على هدى الحرب وإن كانت هذه المدن تأثرت بارتفاع الأسعار، وبمعضلة عدم توفر «الكاش» في ظل تذبذب شبكات الاتصال والخدمات البنكية الإلكترونية مقرونًا كل ذلك بفقدان الكثيرين لوظائفهم وعدم تلقي بعض العاملين في القطاع الحكومي لرواتبهم منذ فترة. أسواق ما قبل العيد في كسادها تطرح استفهامات لا تنتهي إلا بإجابة واحدة مفادها «الحرب» يا عزيزي. الكساد الذي ستكون له آثار على سلع ومنتجات أخرى ارتبطت بعيد السودانيين.

يمكنك أن تقرأ ملامح عيد الحرب في صينية خبيز قرر من يصنعونها أن يرسمون عليها عبارة «الخرطوم حرة»، وهو ما يعزز من فرضية تأثيرات الحرب على العيد السوداني هذه المرة. لكن ما تظنه خافٍ تكشف عنه إحدى السيدات في إجابتها عن إمكانية تجهيز مستلزمات العيد وعلى رأسها «الخبيز» حين تقول إن الميزانية لا تسمح بهذا الترف، وسيمر العيد دون خبيز. ولكنها تستدرك سريعًا: «حالنا هنا أفضل من حال كثيرين يفتقدون الخبز ناهيك عن الكعك». ما لم تقله السيدة إن السؤال عن مصير كعك الخبيز في بلاد تشكو التكايا فيها غياب البليلة سؤال ترف وبلا إجابة.

لكن شابة عادت لمدينتها بعد سيطرة الجيش تبدو سعيدة وتقول انه بعد النزوح والتعب تحس أن الأوضاع أفضل وأنها ستعيش العيد وفرحته، وتردف: «العيد هو البيت وبقية التفاصيل يمكن استعادتها تباعًا، العيد الإحساس بالسلام، نعم قد يكون السلام ناقص الآن لكنه في كل الأحوال أفضل من الحرب، أنا هذه المرة يمكنني أن أردد أمنيتي القديمة تعود الأيام بالصحة والسلامة، وهو ما لم أستطعه طوال أعياد النزوح».

من مكان نزوحه يقول شاب: «نحنا عيدنا ما الليلة فلم تثبت الرؤية بعد. والنازح على دين أهل البلاد التي تستضيفه. وحتى يوم غدٍ قد لا يمر فوقنا العيد، وطن وكل شيء ما خلا السودان ناقص لا عيد والسودان مكسور الخاطر، لا فرحة في بلاد يقسمها حزن الحرب والموت. ولكن أكيد يوم باكر ببقي أخير، وستعود أيام السودانيين، وسيستجيب الله لدعواتهم يوم العيد».

ثمة أعياد سيصنعها السودانيون في مهاجرهم في دول لجوءهم، سيأتونك بتكبيراتهم وبمقالدتهم لبعضهم، وربما في سيلفي جلابية وتوب مكتوبعليهم «نحن هاهنا باقون وللحلم بقية».

العيد.. في بلاد العجائب!

رقيـــة وراق

ملخص

نص يعكس صراع الكاتبة بين الحنين إلى طقوس العيد في السودان بكل تفاصيله الحية، وواقعها في الغربة حيث يصبح العيد مجرد ذكرى تفتقد إليها. الذكريات تتحول إلى عالم موازٍ دافئ، لكنها لا تغني عن الحقيقة. الكاتبة تفتقد أجواء العيد الحقيقية في وطنها، حيث الروائح والأصوات والطقوس الجماعية مثل تحضير الكعك وتنظيف المنزل وتبادل الزيارات.. المكالمات والرسائل لا تعوض دفء العيد الملموس.

تسترجع تفاصيل دقيقة مثل روائح التيمان والصندل، ولذة غمس البسكويت في الشاي، وضجيج البيت المليء بالأهل أثناء التحضير للعيد. تذكر حرصها على القراءة وسط الفوضى، وذكرياتها مع الكتب مثل «الجريمة والعقاب» و«أليس في بلاد العجائب».

في أحد الأعياد، حصلت على نسخة من الكتاب من ابنة بائع عصير في سوق الشعبية، وأغرقت في قراءته وسط أجواء الأراجيح وفرحة الأطفال. تعبر عن حزنها لاضطرارها لإعادة الكتاب قبل إنهائه، وظل هذا الذكرى عالقة في ذهنها كرمز للبهجة والحرمان معًا.

المقارنة بين عيد الماضي (المليء بالدفء العائلي والتفاصيل الحسية) وواقعها الحالي (عيد منفرد، بارد، يعتمد على التواصل الرقمي). الذكريات تصبح ملجأً لها لتعويض الغربة، لكنها تظل تشتاق إلى «العيد القطعة الواحدة» غير المجزأ.

طفقت أجد في أثر العيد هذا العام بعد أن فاتني يومه الأول لتوعك صحي. كنت تحوطت لأمر مهاتفة السودان منذ الوقفة تجنبًا لمشكلة انشغال الخطوط يوم العيد، ولكني أعدت محاولة الاتصال مرات وكرات في صبيحة العيد دون جدوى، فأضفت لنفسي إحباطًا على زكام. لبس الصغار ملابس العيد ورافقوني لزيارات خاطفة للجيران المعيدين والمعيدات وغالبيتهم من السودانيين، وبعد عودتنا واصلت المعايدات الهاتفية والإلكترونية وهتفت بالأطفال ليشتركوا في بعضها بمحادثة الأصدقاء والصديقات رغبة في استمرار مناخ عيدوي بالمنزل فأطاعوني مرة مرتين ثم تملصوا مني بالاعتذار وإغلاق أبواب الغرف بلطف. أعرف أن أنفاس الصعداء تتعالى خلفه، فيما يتصاعد شوقي لمناخ عيد حقيقي في السودان ولا ينطفئ، التقانة وحدها لا تروي. جبت أرجاء المسكن الصغير دون هدف، لا أريد العيد مجزءًا في خطوط التليفونات وأزرار الحواسب، أريده قطعة واحدة، مثل الكعكة البلدية، بطعم وملمس ونكهة. كنت أريد أن أتذكر، وكانت الذاكرة تعاندني، والصور تتفلت حالما أضع يدي عليها. فجأة لانت قلاع الذاكرة وانفتحت، وعلى هدي شاراتها أبصرت غرفة مريحة ينام فيها الزمان والمكان تنتظر التفاتتي، وهي تعبق بالتيمان والصندل والند ودوا الكعك والصلوات والضراعات، الزمان يوم الوقفة والمكان منزلنا بالوطن، سمعت وقع خطى أمي وشقيقاتي وبنات أختي وشعرت بحركتهن الدائبة في أرجاء المسكن الكبير، وأبصرت وجوههن المتعبة المستبشرة، وأصابعهن المعيدة، تلمس كل ركن، فتغسل وتكنس وتلمع كل ما يغسل ويكنس ويلمع في البيت وكأني بالعيد يتابع عناءهن المحتفل فلا ينبثق الا بعد أن تكتمل ذات الطقوس. رأيت صواني الكعك والبسكويت، وشعرت بلسعة الشاي مع نصف البسكويتة المستطيلة المخططة المغموسة فيه، يحرق نصفها اللسان ويسقط نصفهاالآخر في قاع الكوب، ليغلظ قوام جرعة الشاي الأخيرة ويطيب. رأيت بقايا السكر المطحون الناعم على الملابس بعد قضم الكعكة بين صفي الأسنان الأمامية ورأيت شرائط العيد الملونة على الضفائر الملمعة بالدهان المنزلي. شقيقاي ومعهما ابن أختي مشغولان بأمر الملابس، حذاء بخطأ في المقاس يتطلب إرجاعًا، ليه ما قستوا الحاجات دي من بدري يا أخوانا، حضر عمي وحضر خالي وسيأتيان في الغد صحبة شقيقي وابن أختي بعد صلاة العيد ووصل الرحم القريب والجيران.

كنت في يوم الوقفة أحدد لنفسي مهمة بعينها وأنجزها بإتقان يمنحني شرعية اختلاس وقت لمطالعة الكنوز التي تخرج بها للسطح حملات التنظيف الجبارة، وكلما استشعرت في الأفق احتجاجًا استبقته بالتذكير بالمهمة التي أنجزتها. ولكن من قال إن عمل ذاك اليوم يعرف المهام المحددة؟ كنت أقول إن الأعمال تخترع

اختراعًا في البيت حتى لو انتهت، وكنت أدلل على ذلك بالأحوال التي يكون فيها وقفتان لو لم تثبت رؤية الهلال، إذ لا تقل الوقفة الزائفة عملًا وتعبًا عن الحقيقية. لو كان هناك أطفال، كنت آتي جريًا إلى مكان أمي عندما أسمعها تقول، بلهجتها التي لم تجفف الخرطوم قطرة من رحيقها:

ـ ووب علي رقيي!

الووب لا يعني إلا أنني قد ضربت في مقتل. الووب يعني أن صفحة من كتاب أو مجلة قد مزقت أو انتزعت من مكانها، أو أن طعامًا أو شرابًا قد دلق عليها. آتي ركضًا، ولم أك كثيرة البكاء، ولكني كنت أنتحب، بالأيام على كتبي لو أصابها مكروه. كنت أعيش مع كل كتاب حياة خاصة منفصلة. ما رأيت كتاب «الجريمة والعقاب»، إلا وتذوقت طعم الفول السوداني والعسل في لساني. فقد أكملته وأنا أفوت الوجبات البيتية تباعًا، وأستعيض عنها بالسندوتش العجول. كنت أظن أن هذا التوليف العجيب بين الخبز والفول والعسل من اختراعي، رغبة في اختصار الوجبات وتوفير الوقت لوجبة المطالعة الشهية. بعد سنوات وسفرات، عرفت أنه سندوتش محبوب جدًا كوجبة إفطار أو وجبة خفيفة عند الفرنجة، مع تبديل العسل إلى مربى الفواكه أحيانًا، ولكن الفول السوداني هو الأصل، شوف بالله!

خبز دافئ أو حار، (أحمراني) اللون، أرافق شقيقي أحيانًا لإحضاره من (طابونة) الشعبية، بحري. رغيفة مستديرة، أو مستطيلة، بحواف تترك آثار رقاقها البني على ملابسي وأنا ألتهم الكتاب معها، مائدة عظيمة للجسم والروح.

في ركن أضاءته شمس ظهيرة لونتها ملابس العيد وأوراق الحلوى اللامعة المتناثرة، رأيت مقعدي الذي صنعته لنفسي من أربع قطع من طوب أحمر، جلست فوقه، يوم عيد، في سوق الشعبية، قرب بائع يبيع مشروبًا أحمر اللون، لعله الكركدي أو الفراولة، من قدر ألمونيوم كبيرة ولامعة، من النوع الذي يحفظ فوق أسطح (فضيات) المطابخ، ولا يستخدم إلا في المناسبات المنزلية الكبيرة. وكانت هناك ابنة البائع، في مثل سني، تساعده في البيع. كنت أصطحب شقيقتي التوأم فنزور عمي وأسرته بالشعبية، ثم ينطلق جمعنا الصغير نحو الأراجيح التي كانت تحتل مساحة كبيرة قرب السوق. كانت الابنة مستقرة في مكان واحد بحكم مشاركتها أبيها في مهمته، عكس حركة بقية الأطفال، وكان يستقر فوق مائدة بيعهما كتاب في حجم (الألغاز) الذائعة الصيت في أيام طفولتنا. طلبت من الصديقة الجديدة أن أرى الكتاب، الملون الصفحات، المغلق الغلافين على جوعي لالتهامه، صفحة صفحة، وكلمة كلمة. وافقت بأريحية، وخلال دقائق كان مقعدي جاهزًا. اكتفيت من مهمة مراقبة الجمع الأسري الذي كنت أكبر من فيه، بسماع الأصوات من بعيد، أسمع ضحك التومات وصياحهن وهن يطرن عاليًا في أرجوحة بمقعدين، يستلم صاحبها ثمن التأرجح، ويدفع سلاسلها الحديدية بيديه، ويعلن عنها، كل هذا في وقت واحد. كانت صيغة الإعلان المرحة تتصاعد تدريجيًا: الجو.. الجاو.. الجاااووووو!

كانت العيدية غير المتوقعة التي نفحتني إياها ابنة بائع العصير هي كتاب (أليس في بلاد العجائب). ناس تصغر وتكبر في لمح البصر، بحيرة الدموع التي عرفت، بعد سنوات طويلة، أن الإنسان يمكن أن يسبح فيها فعلًا ويعبر إلى شواطئ أخرى. أوراق الكتشينة تتحول إلى شخصيات حية، جنود يحرسون شيئًا بالسيوف، الأرنب المتوتر يكثر من إلقاء النظرات على ساعة (يده) وآخر أهميات، يذكرني بأحد المعارف، كان يرد على دعوة تناول الشاي بعبارة: ما بقدر، أنا في حالة سباق مع الزمن! وكانت (قندفته) المكرورة تغيظني حينها، ولكن الأرنب لا يغيظني، فسباقه مع الزمن كان يشبه سباقي لأستكمل مطالعة الكتاب المستعار، وأحداثه تتابع حيوية، مشوقة وكذا ضجة العيد في الساحة الخفاقة .

هادم ملذات، لا أتذكر إن كان شخصًا أو حدثًا، دفع بالطفلة لاستعادة كتابها مني قبل وصولي نهاية القصة، أي حزن وأي خيبة أمل.

لو قرأت كل النسخ، العربية والإنجليزية، لو اعتصرت كتبها، بأحجامها الصغيرة تلك، بين يدي، حتى سالت حروفها ماء، ما روى ذلك ظمأي. أريد تلك النسخة، وأنا أجلس فوق مقعد الطوب القاسي، قرب بائع العصير الأحمر وابنته، أريد تلك الظهيرة الملونة في ميدان الشعبية بحري، الكبير الضاج، أريد العيد الذي صارت أليس وعجائبها خلفية مجنونة الخيال له، هكذا هتفت بالذاكرة، ملء الشوق والحنين، فهيأت لي غرفة، بسطت ملاءاتها الملونة فوق أسرة الأشجان، وعطرت نسائمها برائحة الأهل والأحباب. غرفة أدفأتها تلك الظهيرة العيدية، بسوق الشعبية، وأدخرتها الأعماق على مدى الأعوام، لصباح عيد في مهجر بعيد، وسداد ثغر!

من سقوط الخرطوم إلى استعادتها: دروس الماضي ورهانات المستقبل (2)

ملخص

يرى الكاتب أن تحرير الخرطوم خطوة مهمة، لكنها لن تنهي الحرب إلا بتحقيق تسوية سياسية شاملة تعالج جذور الأزمة، وتعيد بناء الدولة اقتصاديًا ومؤسسيًا، وتجنب السودان مصير التقسيم أو الحروب الممتدة، فإعلان البرهان تحرير الخرطوم من قوات الدعم السريع يمثل منعطفًا مهمًا، لكنه لا يعني نهاية الحرب، كون السيطرة على العاصمة تعيد الجيش إلى مركز القيادة السياسية، لكن التحديات الأكبر تتمثل في إعادة السيطرة على المناطق الأخرى ومعالجة آثار الحرب المدمرة.

للأزمة السودانية جذور سياسية واقتصادية أعمق من الصراع العسكري والحرب ليست مجرد صراع بين الجيش وقوات الدعم السريع، بل تعكس أزمة بنيوية في الدولة (توزيع السلطة، الثروة، غياب العدالة). يستدعي الكاتب خطر تكرار سيناريو انفصال الجنوب (2011) في دارفور إذا لم تُعالج الأسباب الجذرية للصراع.

الحل السياسي ضرورة، والحل العسكري وحده غير كافٍ؛ المطلوب تسوية سياسية تشمل كل الأطراف (بما فيهم القوى المدنية المهمشة)، كما أن المجتمع الدولي مطالب بالضغط لتحقيق مصالحة وطنية ودعم إعادة الإعمار، بدلًا من التعامل مع الأزمة كصراع مؤقت.

التحديات المستقبلية ماثلة؛ الإعمار والاقتصاد وإعادة بناء الثقة وإعادة إعمار الخرطوم المدمرة اختبار لمصداقية الدولة في تحقيق الاستقرار وترميم العقد الاجتماعي. كذلك يحتاج الانهيار الاقتصادي (تضخم، بطالة) إلى خطة إنقاذ سريعة لتفادي تفجر أزمات جديدة أما الخطر الأكبر فهو تحوُّل «الانتصار العسكري» إلى حكم مركزي استبدادي، مما يُعيد إنتاج الأزمة من جديد.

محمد عمر شمينا

إعلان رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان، في السادس والعشرين من مارس، عن تحرير الخرطوم بالكامل من التمرد من داخل القصر الجمهوري، يمثل لحظة فارقة في مسار الحرب التي استمرت لما يقارب 23 شهرًا. لأول مرة منذ خروجه من القيادة العامة في أغسطس 2023، عاد البرهان إلى قلب العاصمة، معلنًا أن الخرطوم أصبحت خالية من التمرد. هذا الإعلان يحمل في طياته أكثر من مجرد انتصار عسكري، بل يعيد فتح أسئلة جوهرية حول مصير الدولة السودانية، وشكل السلطة في المرحلة القادمة، ومدى إمكانية أن يكون هذا التحرير خطوة نحو السلام، أم أنه مجرد مرحلة جديدة في صراع طويل لم ينتهِ بعد.

تحرير العاصمة، رغم كونه تحولًا استراتيجيًا، لا يعني أن الحرب قد وضعت أوزارها، فالصراع في السودان ليس مجرد مواجهة بين الجيش وقوات الدعم السريع، بل هو تعبير عن أزمة عميقة في بنية الدولة السودانية، حيث تتشابك العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إنتاج نزاعات متكررة. صحيح أن السيطرة على الخرطوم تعني استعادة الجيش للمركز السياسي للبلاد، لكنها لا تعني بالضرورة استعادة الاستقرار، بل تفتح الباب أمام جولة جديدة من التحديات، من بينها إعادة فرض سيطرة الدولة على بقية المناطق، ومعالجة آثار الحرب على المدنيين، واستيعاب القوى المختلفة في أي تسوية سياسية محتملة.

يأتي تحرير الخرطوم في ظل وضع إقليمي معقد، حيث لعبت بعض القوى الخارجية دورًا في استمرار النزاع، إما من خلال تقديم الدعم اللوجستي والعسكري، أو عبر استغلال الأزمة السودانية لتحقيق مصالحها الخاصة. واليوم، مع خروج قوات الدعم السريع من العاصمة، يبقى السؤال حول مستقبل توازن القوى داخل السودان، خاصة أن هذه القوات لا تزال تسيطر على أجزاء واسعة من دارفور، مما يطرح مخاوف جدية حول احتمالية انفصال الإقليم، أو تحوله إلى بؤرة صراع مستمرة تستنزف الدولة السودانية لعقود قادمة. إن تجربة الحرب الأهلية السودانية، التي انتهت بانفصال الجنوب عام 2011، لا تزال ماثلة في الأذهان، ويجب أن تكون درسًا في كيفية التعامل مع النزاعات الداخلية قبل أن تصل إلى نقطة اللاعودة.

لا يمكن اختزال الأزمة السودانية في بعدها العسكري فقط، فالحل الحقيقي يجب أن يكون سياسيًا، وإلا فإن الحرب ستستمر بأشكال أخرى حتى لو تم القضاء على التمرد عسكريًا. المرحلة القادمة يجب أن تكون مرحلة إعادة ترتيب الأولويات الوطنية، وليس فقط مرحلة الاحتفال بالانتصار العسكري. وهنا يأتي دور القوى المدنية، التي ظلت طوال فترة الحرب على الهامش، دون أن تكون فاعلة في صياغة مستقبل البلاد. القوى المدنية اليوم أمام اختبار حقيقي: إما أن تقدم رؤية واضحة لمستقبل السودان، أو أن تظل مجرد رد فعل على ما يقرره العسكريون. يجب أن يكون هناك مشروع سياسي يعالج جذور الأزمة، ويؤسس لدولة قائمة على سيادة القانون والمشاركة العادلة في السلطة والثروة، بدلًا من إعادة إنتاج نموذج الحكم المركزي القائم على الغلبة العسكرية.

السؤال المحوري الآن هو: كيف سيتم استثمار هذا النصر؟ هل سيؤدي إلى إعادة تثبيت الحكم العسكري، أم سيكون فرصة لإعادة بناء السودان على أسس جديدة؟ هناك مخاوف من أن يُنظر إلى التحرير كفرصة لتكريس حكم عسكري مطلق، وهو ما قد يؤدي إلى مزيد من المعارضة الداخلية واستمرار حالة عدم الاستقرار. في المقابل، هناك فرصة سانحة لبدء مرحلة انتقالية حقيقية، يتم فيها إشراك جميع القوى الوطنية في حوار جاد حول مستقبل الحكم، بعيدًا عن منطق الإقصاء والانتقام السياسي. إن استعادة الخرطوم يجب أن تكون بداية لمسار جديد، لا مجرد محطة أخرى في حلقة الصراع الدائر منذ سنوات.

التحدي الأكبر الذي يواجه السودان الآن ليس فقط تأمين العاصمة، بل إعادة إعمارها بعد الدمار الهائل الذي لحق بها. الخرطوم اليوم ليست كما كانت قبل الحرب، فقد تحولت إلى مدينة منكوبة، حيث تضررت بنيتها التحتية بشكل كبير، ونزح سكانها إلى مناطق أخرى. إعادة بناء العاصمة لن تكون مجرد عملية هندسية، بل ستكون اختبارًا لقدرة الدولة على استعادة ثقة المواطنين، وإثبات أن المرحلة القادمة لن تكون تكرارًا للأخطاء الماضية. إعادة الإعمار يجب أن تتجاوز إصلاح المباني إلى إعادة بناء العقد الاجتماعي بين الدولة والمجتمع، بحيث يشعر المواطنون بأنهم جزء من مشروع وطني جديد، وليسوا مجرد متفرجين على قرارات تُصنع بعيدًا عنهم.

الجانب الاقتصادي لا يقل أهمية عن الجانب السياسي، فالحرب أدت إلى انهيار الاقتصاد السوداني، وتراجع قيمة العملة الوطنية، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة. تحرير الخرطوم يجب أن يترافق مع خطة اقتصادية واضحة لإنعاش البلاد، من خلال جذب الاستثمارات، وإعادة تشغيل المؤسسات الإنتاجية، وتوفير بيئة مستقرة للأعمال. الاقتصاد هو المحرك الأساسي لأي استقرار مستقبلي، وإذا لم يتم التعامل مع الأزمات الاقتصادية بجدية، فإن احتمالات اندلاع اضطرابات جديدة ستظل قائمة.

في هذا السياق، لا يمكن تجاهل دور المجتمع الدولي، الذي ظل مترددًا في التعاطي مع الأزمة السودانية، حيث تعاملت العديد من القوى الكبرى مع الصراع بمنطق إدارة الأزمة بدلًا من حلها. اليوم، وبعد تحرير الخرطوم، يجب أن يكون هناك ضغط دولي لدفع الأطراف السودانية نحو تسوية شاملة، تضمن وحدة البلاد واستقرارها. لا ينبغي أن يُترك السودان ليواجه مصيره وحده، بل يجب أن يكون هناك دعم حقيقي لمشروعات إعادة الإعمار، وتقديم المساعدات الإنسانية للمتضررين، وتشجيع الأطراف المتصارعة على الدخول في عملية سياسية جادة.

ما حدث في السادس والعشرين من مارس لحظة تاريخية، لكنها ليست نهاية الطريق. تحرير الخرطوم قد يكون نقطة تحول، لكنه لن يكون كافيًا لضمان استقرار السودان إذا لم يتم استثماره بشكل صحيح. المطلوب الآن ليس فقط الاحتفاء بالانتصار، بل البدء فورًا في بناء رؤية سياسية جديدة تُخرج السودان من دائرة الصراعات المتكررة. يجب أن يكون هناك وعي بأن الحلول العسكرية وحدها لا تكفي، وأن الطريق إلى الاستقرار الدائم يمر عبر مصالحة وطنية حقيقية، وإعادة هيكلة مؤسسات الدولة لتكون أكثر كفاءة وحيادية، وضمان مشاركة جميع الأطراف في رسم مستقبل السودان. إذا لم يتم اتخاذ هذه الخطوات، فإن تحرير الخرطوم قد يكون مجرد حلقة أخرى في سلسلة طويلة من الصراعات، بدلًا من أن يكون بداية لنهاية الأزمة.

إعادة بناء القرية السودانية: رؤية لمستقبل مستدام بعد الحرب

ملخص

يرسم المقال رؤية شاملة لإعادة الإعمار، مع التأكيد على التعاون المحلي والدولي لتحقيق تنمية مستدامة. يرى الكاتب أن عملية إعادة بناء القرى السودانية بعد الحرب لا تقتصر على ترميم البنية التحتية فحسب، بل تشمل إحياء النسيج الاجتماعي والاقتصادي من خلال رؤية متكاملة للتنمية المستدامة، مع الحفاظ على الهوية المحلية.

يتطلب كذلك تقديم برامج دعم نفسي لمعالجة الصدمات الناتجة عن الحرب وتعزيز الحوار المجتمعي لإعادة اللحمة الاجتماعية مع إعادة دمج النازحين عبر توفير فرص عمل وتعليم وسكن آمن.

من الضروري بمكان إعادة تأهيل البنية التحتية والخدمات الأساسية؛ بناء المدارس والمستشفيات وتوفير المياه النظيفة والكهرباء باستخدام حلول مستدامة مثل الطاقة الشمسية، مع تحسين شبكات الطرق لربط القرى بالمدن وتسهيل الحركة التجارية.

التركيز على التعليم النظامي والتدريب المهني لتعزيز المهارات وخلق فرص عمل، ودعم القطاع الزراعي عبر توفير التقنيات الحديثة وإنشاء التعاونيات. كما ينبغي تمكين المرأة عبر التعليم والمشاركة في صنع القرار والمشاريع الريادية.

عثمان يوسف خليل

مقدمة:

في أعقاب الحروب وما تخلفه من دمار، تصبح عملية إعادة البناء ضرورة إنسانية ووطنية ملحة. تلقينا رسالة من أحد الأساتذة الأفاضل الذي أبدى اهتمامه بما كتبناه عن دور المرأة السودانية ومقدراتها، ورغم تواضع كلماتنا أمام علمه، غير أننا آلينا على أنفسنا أن ندلي بدلونا، إيمانًا بدور الكلمة في رسم ملامح المستقبل.

لقد كان هدفنا هو أن نشير إلى تنمية القرية بعد الحرب، ونحن نؤمن إن إعادة بناء القرى السودانية ليست مجرد عملية مادية لترميم المباني والجسور وتسوية الطرق، بل هي مشروع لإحياء مجتمع بكامل نسيجه من خلال رؤية متكاملة للتنمية المستدامة. فالقرية تمثل نواة الحياة السودانية، ومن دونها تذبل الروح الإنتاجية، ما يدفع السكان نحو النزوح إلى المدن، فتتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.

من المهم، لا يمكن أن يتحقق هذا الإعمار إلا بتضافر الجهود المحلية والدولية، مع الحفاظ على الهوية والاستقلالية، لتجنب الارتهان للمساعدات دون تحقيق تنمية حقيقية. من هذا المنطلق، نطرح فيما يلي محاور أساسية نأمل أن تُناقش بعقلانية وواقعية، سعيًا للوصول إلى نتائج إيجابية:

1. الأثر النفسي والاجتماعي للحرب:

الحروب لا تدمر البنية التحتية فحسب، بل تمزق النسيج الاجتماعي وتخلّف صدمات نفسية عميقة. لا بد من وضع الإنسان في قلب عملية إعادة البناء عبر:

** برامج الدعم النفسي: ودوره المهم لتجاوز آثار الصدمات من خلال جلسات الإرشاد الجماعي والفردي، مع تدريب كوادر محلية لضمان استمرارية الدعم.

**الحوار المجتمعي: إنشاء منصات للحوار يشارك فيها شيوخ القبائل والقادة المحليون والنساء والشباب، لتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي.

** إعادة دمج النازحين: توفير عودة آمنة وتأمين سبل العيش من خلال توفير فرص عمل

وتعليم، وضمان الحق في السكن الملائم.

2. إعادة تأهيل البنية التحتية والخدمات:

القرية بدون خدمات أساسية كالجسد بلا روح، لذا يُعد تأهيل البنية التحتية حجر الأساس في عملية الإعمار:

**** المرافق الصحية والتعليمية:**

الاهتمام ببناء المدارس والمستشفيات وفق معايير حديثة، مع توفير الأدوات التعليمية والطبية الضرورية.

****شبكات المياه النظيفة والصرف الصحي:** إنشاء محطات لتنقية المياه، وتدريب السكان على صيانتها لضمان ديمومتها.

** الطرق والكهرباء: ربط القرى بالمدن لتسهيل حركة السكان والبضائع، مع توفير حلول طاقة مستدامة مثل الطاقة الشمسية.

3. التعليم والتدريب المهني:

لا يمكن النهوض بالمجتمع دون الاستثمار في الإنسان. ويُعد التعليم حجر الزاوية في هذا المسار عبر:

****مراكز التدريب المهني:** لتعليم المهارات الحرفية كالحدادة والنجارة والخياطة، إضافة إلى مهارات جديدة في التكنولوجيا والطاقة المتجددة. وتشجيع الفتيات، لأهمية التدريب المهني، جنبًا إلى جنب مع الفتيان..

****دعم التعليم النظامي:** توفير منح دراسية وبرامج محو الأمية، مع التركيز على تعليم الفتيات.

****المشاريع الريادية:** تمويل مشاريع صغيرة تعزز الاكتفاء الذاتي، مع التركيز على تحسين الإنتاج الزراعي وتطوير سلاسل القيمة.

4. التنمية الاقتصادية والزراعية:

تعتمد القرى السودانية بشكل أساسي على الزراعة، لذلك يجب إعادة الحياة لهذا القطاع عبر:

****توفير المدخلات الزراعية:** من بذور محسّنة وأدوات زراعية ومبيدات آمنة بيئيًا.

****تقنيات الري الحديثة:** كهندسة قنوات الري وإدخال أنظمة حديثة مثل الري بالتنقيط، لضمان الاستفادة القصوى من الموارد المائية.

** تعزيز التعاونيات الزراعية: تشجيع إنشاء جمعيات تعاونية تُمكّن المزارعين من الوصول للأسواق مباشرة بأسعار عادلة، مع توفير منصات إلكترونية للتسويق.

5. تمكين المرأة ودورها في الإعمار:

المرأة السودانية كانت وما زالت عماد المجتمع، ودورها محوري في البناء من خلال:

** التعليم والتمكين الاقتصادي: تدريب النساء في مجالات الزراعة والحرف اليدوية، وإنشاء مشاريع صغيرة مدعومة.

** مبادرات القيادة النسائية: تشجيع النساء على المشاركة في اتخاذ القرار في المجالس القروية، لتعزيز دورهن في التنمية المحلية.

** برامج الصحة الأسرية: توفير رعاية صحية شاملة للأمهات والأطفال، مع التوعية بقضايا الصحة الإنجابية.

6. دور المجتمع الدولي دون انتقاص السيادة:

الدعم الدولي يمكن أن يسهم بشكل كبير في إعادة الإعمار، شرط أن يُبنى على احترام السيادة الوطنية عبر:

** الشراكة لا الهيمنة: وضع استراتيجيات مشتركة تُحدد فيها أولويات التنمية من قبل المجتمع المحلي. وترك الأمر لقادة المجتمع بعد تدريبهم..

** نقل المعرفة: عبر برامج تدريب وتأهيل تهدف لبناء قدرات أهل القرى، ليصبحوا قادرين على إدارة مشاريعهم بأنفسهم.

** آليات المراقبة والشفافية: لضمان وصول المساعدات لمستحقيها، عبر لجان رقابة محلية تعمل بشفافية ومصداقية.

خاتمة:

إعادة بناء القرى السودانية ليست حلمًا بعيد المنال، بل مشروع واقعي يتطلب رؤية واضحة وإرادة سياسية ومجتمعية. التركيز على الإنسان أولاً، وربط الجهود المحلية بالدعم الدولي الذكي، يمكن أن يحول المأساة إلى فرصة لنهضة تعتمد على الكرامة والاستدامة. وكما قال البروفيسور عبد الفتاح، المستقبل يبدأ من القرية.

ملحوظة:

هذه المقالة نواة لسلسلة تناقش تفاصيل كل محور بدعم من خبراء في مختلف المجالات، لتتحول إلى دليل عملي يسهم في إعادة إعمار السودان، حيث يكون للمرأة والشباب والإنسان عمومًا دور محوري في صياغة مستقبل مستدام.

**** المملكة المتحدة**

ذكـــرى المجـــزرة!

وائل محجوب

ملخص

اعتراف رسمي بالتورط في المجزرة:

تصريح عضو المجلس العسكري الانتقالي (شمس الدين كباشي) يُوثق اجتماعًا ضم قادة الجيش والأمن والقضاء للتخطيط لفض اعتصام القيادة في 3 يونيو 2019، ما أدى إلى مجزرة ضد مدنيين عُزّل، وهو اعتراف صريح يعد دليل إدانة ضد المشاركين.

جريمة ضد الإنسانية بموجب القوانين المحلية والدولية:

المجزرة تُصنف كجريمة ضد الإنسانية وفقًا للقوانين السودانية (القانون الجنائي 1991، قانون القوات المسلحة 2007) والقانون الدولي (اتفاقيات جنيف، ميثاق روما)، وهي جريمة لا تسقط بالتقادم ولا تغتفر حتى في زمن الحرب.

المتورطون معروفون وغير محصَّنين:

القادة العسكريون والأمنيون والقضائيون الذين شاركوا في التخطيط أو التنفيذ مُحدَّدون بأسمائهم، وحصانتهم لا تُسقِط حق الدولة أو ذوي الضحايا في المطالبة بالعدالة، حتى لو توزعوا لاحقًا بين أطراف النزاع الحالي.

الإفلات من العقاب يُغذّي دوامة العنف:

غياب المحاسبة عن المجزرة شكّل سابقة خطيرة أدت إلى استمرار جرائم الحرب الحالية، ما يؤكد أن العدالة هي الضامن الوحيد لكسر حلقة الإجرام، سواء عبر المحاكم المحلية أو الدولية (مثل المحكمة الجنائية الدولية).

*»وفي الليلة السابقة للتنفيذ دعونا لاجتماع موسع حضره كل (أعضاء) المجلس العسكري حضره كل من:

- (قادة) القوات النظامية والقوات المسلحة.
- رئيس الأركان ومجموعته.
- رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية.
- مدير جهاز الأمن والمخابرات الوطني و نا ئبه .
- مدير عام الشرطة ونائبه.
- قائد قوات الدعم السريع.

وطلبنا أيضًا من السيد رئيس القضاء والنائب العام أن يحضروا هذا الاجتماع لتقديم المشورة القانونية.

(كل) الذين ذكرتهم كانوا في هذا الاجتماع، أخذنا الاستشارات القانونية اللازمة في كيفية التعامل مع مثل هذه الظروف الحساسة، وشاكرين السيد رئيس القضاء السيد النائب العام، قدموا لنا الاستشارات اللازمة ثم خرجوا، ومن ثم وجهنا القيادات العسكرية بالتخطيط لفض هذا الاعتصام وفق الإجراءات الأمنية والعسكرية المعروفة، القيادات العسكرية ذهبت ووضعت خطتها ونفذت وحدث ما حدث».

* التصريح أعلاه صدر عن عضو المجلس العسكري الانتقالي وقتها، شمس الدين كباشي، متحدثًا حول ما جرى في ساحة القيادة العامة يوم 3 يونيو 2019م من مجزرة وحشية بحق المدنيين، وهو يمثل بينة اتهام محددة وصريحة، تجاه كل من وردت أسماؤهم من جهات وأفراد، تورطوا في مجزرة فض اعتصام القيادة، وهو اتهام لن يسقط بالتقادم، ولا مجال للالتفاف عليه.

* ويمثل فض اعتصام القيادة في 3 يونيو 2019م «الذي حلت ذكراه السادسة يوم التاسع والعشرين من رمضان الماضي»، بكل الوحشية والدموية والغدر التي حملها، جريمة ضد الإنسانية وفق القانون الجنائي السوداني لعام 1991م، ووفق قانون القوات المسلحة لعام 2007م، ووفق القانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف لحماية المدنيين، وميثاق روما للمحكمة الجنائية الدولية، التي حرمت وجرمت كلها الجرائم ضد الإنسانية، واتفقت على تعريفها لهذا النمط من الجرائم بأنه:

«هجوم واسع النطاق، أو منهجي، موجه ضد أية مجموعة من السكان المدنيين وارتكاب أفعال محظورة بقوة وتهديد السلاح، تتضمن مثل هذه الأفعال القتل العمد، والإبادة، والاغتصاب، والعبودية الجنسية، والإبعاد أو النقل القسري للسكان، وجريمة التفرقة العنصرية».

* هذه الجريمة لا تسقط بالتقادم، ولا تسقطها الحرب، ولن تقيد ضد مجهول، فمن خططوا ودبروا وأعطوا أوامر التنفيذ من قادة اللجنة الأمنية، من قادة الجيش والدعم السريع وجهاز الأمن والشرطة، قد اعترفوا على أنفسهم واعترافهم كما قرأنا في التصريح أعلاه مشهود وموثق، وقيادات الأجهزة العدلية والقضائية الذين باركوا التنفيذ وأعطوه المشروعية القانونية معلومين، وكذلك كل القوات التي شاركت في تنفيذ المجزرة معروفة، «بما في ذلك كتائب الظل معلومة بقادتها»، لن يبدل ذلك توزع الجناة كقيادات على ضفتي الحرب، ومن تورطوا في التخطيط لها هم قادة اللجنة الأمنية وقتها بأشخاصهم ومؤسساتهم التي يقفون على رأسها، منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

* الجرائم ضد الإنسانية عرضة للعقاب محليًا ودوليًا، بصرف النظر عن ارتكابها وقت الحرب أو السلام، وهي من الجرائم التي لا تملك أي جهة سلطة إسقاطها أو قفل ملفها، فهي جريمة حق عام للدولة، حيث خالفت أجهزتها وقياداتها نصوص الدستور ومختلف قوانين الدولة، وهي كذلك جريمة حق خاص لذوي وأسر الشهداء، الذين يستطيعون مقاضاة كل من وردت أسماؤهم في تصريح الكباشي أعلاه، وكل المتهمين بتنفيذ تلك العمليات الوحشية على الأرض.

* وللسودان تاريخ طويل من تفشي ثقافة الإفلات من العقاب، وإهدار العدالة، وإسباغ الحصانة على أفعال القتلة وحمايتهم بقوة الدولة، وما نعايشه حاليًا من جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، هو النتاج الفعلي لسيادة شريعة الغاب ردحًا من الزمان.

* وأخيرًا هذه الحرب بكل جرائمها في وجه من وجوهها القبيحة المشوهة، هي ثمن فادح يتحمله الشعب، نتيجة لوجود المجرمين طلقاء بلا رادع والتهاون في مواجهتهم، وعدم المحاسبة وقصور العدالة عن ملاحقة من خططوا ودبروا ونفذوا وشجعوا على ارتكاب الجرائم، وعلى رأسها جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، التي يتحمل وزرها الرئيس المخلوع وعدد ممن وجهت لهم المحكمة الجنائية الدولية الاتهام، وستبقى مثل هذه الجرائم التي راح ضحيتها مئات وآلاف المدنيين، حاضرة ولن تطوى آثارها ما لم تنفذ العدالة على من قاموا بها.

جريمة فض الاعتصام أو (حدث ما حدث)

حيدر المكاشفي

ملخص

ساحة الاعتصام: سودانٌ مصغّرٌ من الإبداع والتضامن:

- تحوّلت ساحة الاعتصام حول القيادة العامة إلى فضاء ثقافي واجتماعي حيوي، شمل:
- أنشطة فنية (شعر، موسيقى، رسم، مسرح).
- مبادرات توعوية وتعليمية (قراءات، حلقات نقاش، تلاوة قرآن).
- تراثيات وطقوس شعبية من كل مناطق السودان.
- أصبحت ملاذًا آمنًا للأسر وحاضنةً للتعبير السلمي عن مطالب الثورة.

جريمة مُخطَّط لها: وحشية ممنهجة بغطاء قانوني:

- فض الاعتصام في 3 يونيو 2019 (29 رمضان) كان جريمة مبيَّتة بتخطيط مسبق من المجلس العسكري وقادة الأجهزة الأمنية (الجيش، الدعم السريع، الشرطة، المخابرات).
- استُخدمت قوة مفرطة ضد معتصمين عُزّل (قتل، اغتصاب، سحل، إخفاء قسري)، رغم عدم وجود أي تهديد منهم.
- اعترافات مثل تصريح الفريق شمس الدين كباشي («وحدث ما حدث») تُثبت تورط القيادات في التخطيط والتنفيذ.

أسئلة تُحاصِر الجناة: لماذا هذه الوحشية؟

- لا مبرر لاستهداف شباب سلمي كان يحتمي بجوار الجيش، خاصة في وقت السحر أثناء الصيام.
- الجريمة كشفت نوايا إبادة جماعية (كما في دارفور)، مع تكرار نمط الإفلات من العقاب.
- العار الأخلاقي والسياسي يلاحق كل من شارك أو صمت، سواءً كانوا عسكريين أو مدنيين.

الذكرى: بين البكاء والمطالبة بالعدالة

- الجريمة وصمة عار في تاريخ السودان، لكنها أيضًا أيقونة مقاومة تُذكّر بضرورة محاسبة المجرمين.
- المقارنة مع مقولة الحسن البصري («عجيج كعجيج النساء ولا عزم») تفضح انفصام النخبة بين الدموع الفارغة والتهاون في المطالبة بالقصاص.
- الشهداء باقون في الذاكرة، والعدالة حقٌ لا يُسقطه التقادم.

مرت علينا يوم التاسع والعشرين من رمضان، الذكرى الأليمة السادسة لجريمة فض الاعتصام القذرة، ذلك الاعتصام الذي كانت ساحته كما علم الكل وشهدوا قد جمعت فأوعت وصارت سودانًا مصغرًا، ليس للتعبير عن مواقف سياسية، بل أضحت ساحة تمور وتضج بالنشاط الثقافي والفني والاجتماعي والتكافلي، ومختلف ضروب الإبداع. من حلقات أدبية وقراءات شعرية ووصلات موسيقية ومعارض للكتاب والقراءة ومعارض للفنون التشكيلية والرسم والتلوين والتصوير الفوتوغرافي ومخاطبات توعوية وحلقات نقاشات ومثاقفات وتبادل للآراء والأفكار، وتجمعات لتلاوة القرآن الكريم وحلقات ذكر صوفي وليالي طرب وغناء وإيقاعات شعبية وتراث شعبي من أركان البلاد الأربعة من الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكانت هناك أيضًا مساحات للترويح والمؤانسة والضحك والسخرية واسكتشات درامية، وغير ذلك من فعاليات وأنشطة متعددة ومفيدة أخشى أن أكون قد نسيت بعضها، ولكن بقول واحد نجمل القول إن ميدان الاعتصام في محيط القيادة العامة للجيش، صار هو أفضل وأنسب مكان تغشاه الأسر ويفضله حتى الأطفال الصغار ليعيشوا أجواءه ويستمتعوا بزخمه وحيويته وتنوع إبداعاته، إنها بالفعل ثورة شاملة فكرية واجتماعية وثقافية، وكان ذلك هو المد الثوري الفعلي الذي كان غائبًا وتفتقده البلاد.

إلى أن جاء ذاك اليوم المشؤوم الأسود، فرغم مرور أيام سوداء عديدة علينا، إلا أن يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان الموافق الثالث من يونيو عام 2019 سيظل هو يومنا الأكثر سوادًا، وسيبقى محفورًا في ذاكرة الأجيال تجتره في أسى جيلًا بعد جيل، ذاك هو يوم فض الاعتصام المشؤوم، تلك الجريمة النكراء التي ستبقى وصمة لا تمحي وعارًا لن يزول على القيادات العسكرية الذين احتمى بسوح قيادتهم العامة وأقاموا اعتصامهم حولها أولئك الشباب والشابات البواسل، ففي كل الأحوال لن تكون هذه القيادات بمنجاة من هذه الوصمة، فإن لم يكن قرار فض الاعتصام من كيدهم وتدبيرهم فإنهم على الأقل تقاعسوا عن حماية هؤلاء الشباب وغضوا الطرف وخلوا بينهم وأولئك القتلة السفاحين، فمن العسير ابتلاع أي مبرر طالما أن تلك المجزرة والمقتلة وقعت أمام ناظريهم بل وبين ظهرانيهم، فما (حدس ما حدس) في ذلك اليوم الأسود كان جريمة خطط لها المجرم بعناية وكان في كامل الاستعداد والجاهزية بالسلاح والعتاد، بينما كان الضحايا سلميين ومسالمين عزلًا، بل كانوا يستشعرون الأمان لكونهم في استجارة قواتهم المسلحة، فتخير المجرم ساعة السحر حين كانوا نيامًا وهم صيام لتنفيذ جريمته البشعة الانتقامية الدموية الشيطانية بلا رحمة ولا وازع من دين ولا أخلاق، وكيف لا يفعل ذلك وهو في غاية الاطمئنان بعدم وجود من يتصدى له ويقارعه بالسلاح، وهذا ما يكشف أن هذه الجريمة لم تتم على عجل وإنما بتخطيط وتنسيق وخطة محكمة وتأهيل وتهيئة للمنفذين حتى لا يرأفوا أو تأخذهم شفقة بالمعتصمين، ونستعيد هنا كلمة الفريق شمس الدين كباشي التي جاءت في خاتمتها عبارة (وحدث ما حدث) التي سارت بذكرها الركبان واضحت مثلًا، (وفي الليلة السابقة للتنفيذ، دعونا لاجتماع موسّع حضره كل أعضاء المجلس العسكري الانتقالي، حضره كل قادة القوات النظامية والقوات المسلحة. رئيس الأركان ومجموعته. رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية. مدير جهاز الأمن والمخابرات الوطني ونائبه. مدير عام الشرطة ونائبه. قائد قوات الدعم السريع. وطلبنا أيضًا من السيد رئيس القضاء والنائب العام أن يحضروا هذا الاجتماع لتقديم المشورة القانونية. كل الذين ذكرتهم كانوا حضورًا في ذلك الاجتماع، أخذنا الاستشارات القانونية اللازمة في كيفية التعامل مع مثل هذه الظروف في هذه المنطقة الحساسة، وشاكرين السيد رئيس القضاء، السيد النائب العام قدموا لنا الاستشارات اللازمة ثم خرجوا، ومن ثم وجّهنا القيادات العسكرية بالتخطيط لفض هذا الاعتصام وفق الإجراءات العسكرية والأمنية المعروفة، القيادات العسكرية ذهبت ووضعت خطتها ونفذّت وحدث ما حدث). كما أن الذي حدث بالبشاعة والدموية التي حدث بها يؤكد ويعزز ذلك، فليس بين المعتصمين ومنفذي الجريمة قضية عار أو ثأر أو غبينة حتى يهجموا بالآلاف، بل قل يغدروا بكل تلك الروح الوحشية البربرية على المعتصمين العزل الذين لم يبدوا أي مقاومة أو دخلوا في مواجهة معهم، ورغم ذلك يطيحون فيهم تقتيلًا وسحلًا ودهسًا واغتصابًا لبعض الحرائر وإلقاء بعض الجثث في مياه النيل وبعض آخر ما يزال في عداد المفقودين لا يعرف حتى الآن ان كانوا أمواتًا فينعون أو أحياء يرجون.. والسؤال الذي ما يزال يشغل البال في هذه القضية هو لماذا كانت كل تلك القسوة والفظاظة والبشاعة والشناعة في عملية فض الاعتصام، وما هي الجريمة الخطيرة التي ارتكبها هذا الشباب النضر المبدع الأعزل، وما هي الأسلحة الفتاكة التي كانت بحوزتهم حتى يغيروا عليهم ويغدروا بهم ويعملوا فيهم أسلحتهم بنية إبادتهم كما حدث في دارفور المكلومة.. وفي خاتمة هذا التذكر الأليم لحادثة فض الاعتصام المفجعة، لا نملك غير أن نذكر كل المتباكين على الشهداء والمطالبين بضرورة القصاص لهم من سياسيين وعسكريين بمقولة الإمام الحسن البصري، حين كان في أحد الأيام يخطب في من حضروا مجلسه ويعظهم، فبلغ بهم التأثر والانفعال بالخطبة مبلغًا جعل أصواتهم ترتفع بالبكاء والنحيب، فاستغرب الأمر واستحضر في نفسه ما انتشر في المجتمع من ظلم وفساد، وقال مقولته الخالدة (عجيج كعجيج النساء ولا عزم، وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاءً يبكون).. وسلام على كل شهدائنا في الخالدين.

اقتصاد ما بعد الحرب في السودان: بين إعادة الإعمار واستمرار النهب

ملخص

رغم التحديات الهائلة، يمكن للسودان التعافي عبر توظيف موارده الذاتية وبناء شراكات استراتيجية، مع التركيز على الحوكمة الرشيدة والمصالحة الوطنية. تسببت الحرب في تدمير القطاعات الرئيسية، فيما انكمش الاقتصاد بنسبة 18.3%- في 2023، وتجاوزت الخسائر المباشرة 100 مليار دولار مع نزوح 12 مليون شخص.

تكمن التحديات الرئيسية لإعادة الإعمار في الوضع السياسي الهش نتيجة لهيمنة الجيش بينما يهدد غياب حكومة مدنية مبادئ الشفافية (مثل الاتفاقيات مع شركات صينية). من التحديات كذلك نقص التمويل، فتكلفة الإعمار تقدر بمئات المليارات، بينما الدين الخارجي تجاوز 60 مليار دولار. أضف على ذلك الفساد وتاريخ من المحسوبية وسوء الإدارة يعيق توجيه الموارد للمشاريع التنموية.

يستعرض المقال الفرص والموارد المتاحة؛ من حيث الموارد الذاتية كالذهب (إنتاج 40 طنًا سنويًا) والزراعة (إمكانية استعادة الإنتاج عبر الري الحديث)، والشراكات الدولية بالاستفادة من عضوية الاتحاد الأفريقي وشراكات مع دول مثل الإمارات ومصر، مع الاستناد إلى تجارب ناجحة (مثل رواندا وكولومبيا). والإصلاح المؤسسي عبر تحقيق العدالة الانتقالية وإشراك المجتمع المدني في صنع القرار.

يرسم المقال مسار وشروط التعافي الاقتصادي ممثلة في وقف الحرب فورًا وإطلاق برامج إعمار شاملة، استثمار في الإنسان (التعليم، الصحة، التدريب) قبل البنية التحتية، جذب استثمارات أجنبية ذكية مع ضمان الشفافية، دعم دولي غير مشروط وحكومة مدنية قادرة على الإصلاح.

عمر سيد احمد*

مقدمة

تُعد الحروب من أعنف المهددات للنمو الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي لأي دولة. ويُمثّل النزاع المسلح الذي اندلع في السودان منذ أبريل 2023 نموذجًا صارخًا لهذا الأثر المدمر. فخلال فترة زمنية قصيرة، دمّرت الحرب الأسس الاقتصادية للدولة، وشلّت القطاعات المنتجة، وأدت إلى نزوح الملايين، مما انعكس سلبًا على الناتج المحلي الإجمالي وقدرة الاقتصاد السوداني على التعافي.

تهدف هذه الورقة إلى استعراض الأثر الاقتصادي للحرب على أهم القطاعات المنتجة في السودان (الزراعة والصناعة)، وعلى البنية التحتية، وكذلك على الإنسان السوداني باعتباره العنصر الرئيسي للإنتاج، مدعومًا بأرقام وتقديرات حديثة.

بعد عامين من الصراع بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، يواجه السودان كارثة إنسانية واقتصادية غير مسبوقة، مع تدمير شبه كامل للبنية التحتية وانهيار مؤسسات الدولة.

تشير التقديرات إلى أن الخسائر المباشرة وغير المباشرة للحرب تجاوزت مئات المليارات من الدولارات، بينما يعيش أكثر من 60% من السكان تحت خط الفقر، ويهدد الجوع 26 مليون سوداني وفقًا لمنظمات الإغاثة. في هذا السياق، تبرز تحديات جسيمة لإعادة الإعمار، لكن الفرص لا تزال قائمة إذا توفرت الإرادة السياسية والموارد الكافية.

التكلفة الاقتصادية والإنسانية: دمار شامل

أولًا: أثر الحرب على القطاع الزراعي: يُعتبر القطاع الزراعي العمود الفقري للاقتصاد

السوداني، إذ يشغّل نحو 80% من القوة العاملة ويُسهم بحوالي 32.7% من الناتج المحلي الإجمالي قبل الحرب. غير أن الحرب أدت إلى تدمير نحو 65% من النشاط الزراعي ونزوح واسع للمزارعين من مناطق الإنتاج وتعطل سلاسل الإمداد ونقص المدخلات الزراعية (الوقود، البذور، الأسمدة) وفقدان المواسم الزراعية في معظم مناطق الإنتاج.

نتيجة لذلك، شهد السودان أزمة غذائية حادة وارتفاعًا غير مسبوق في أسعار المواد الغذائية. وزيادة الاعتماد على المساعدات الخارجية.

ثانيًا: أثر الحرب على القطاع الصناعي: تم تدمير 75% من البنية الصناعية، خاصة في الخرطوم ومدن الإنتاج. وتوقف أغلب المصانع عن العمل بسبب المعارك أو انعدام الأمن. ونزوح وهجرة العمالة الماهرة والفنيين. مما أدي إلى انقطاع سلاسل الإمداد وارتفاع تكلفة الإنتاج. أدى هذا الانهيار إلى تراجع مساهمة القطاع الصناعي في الناتج المحلي وفقدان آلاف فرص العمل.

ثالثًا: أثر الحرب على البنية التحتية: أدى إلى دمار واسع في الطرق والجسور الرئيسية. توقف شبكات الكهرباء والمياه والاتصالات في مناطق كثيرة. تدمير 50% من الطرق والجسور وشبكات المياه والكهرباء. وخروج 40-50% من المستشفيات عن الخدمة. وتعطيل جميع المشاريع التنموية الحكومية.

تُقدّر الخسائر المباشرة في البنية التحتية بـ 60 مليار دولار حتى نهاية 2023.** ومع استمرار الحرب خلال عام 2024 وحتى الوقت الحاضر والتدمير الذي شمل جسور جديدة وبنيات تحتية ومنشآت جديدة في العاصمة ومدن أخرى يعتقد أن التقديرات للخسائر قد تضاعفت.

رابعًا: أثر الحرب على الإنسان السوداني: أدى استمرار الحرب إلى نزوح أكثر من 12 مليون شخص داخليًا وخارجيًا. وتفشي معدلات الفقر، مع تدهور الصحة النفسية والجسدية لغالبية السكان وفقدان شريحة كبيرة من القوى المنتجة.

خامسًا: أثر الحرب على الناتج المحلي الإجمالي: انكماش الاقتصاد بنسبة **18.3%- في 2023. وتراجع الناتج المحلي الإجمالي إلى 43.91 مليار دولار خلال نفس العام وخسائر اقتصادية مباشرة تقدر بـ **15 مليار دولار في 2023.

التقديرات تشير إلى تجاوز إجمالي الخسائر المباشرة إلى أكثر من 100 مليار دولار بنهاية 2024.

تعقيد تقديرات الخسائر وصعوبة تقدير تكلفة إعادة الإعمار

في ظل استمرار الحرب والتدمير المتواصل للبنية التحتية والقطاعات الإنتاجية، تصبح عملية تقدير الخسائر الاقتصادية مهمة بالغة الصعوبة. فالأضرار ليست ثابتة أو منتهية، بل تتزايد يوميًا مع استمرار المعارك واتساع نطاقها، وتفاقم النزوح، وتوقف الأنشطة الاقتصادية. كما أن انهيار مؤسسات الدولة وغياب البيانات الدقيقة يعيقان الوصول إلى أرقام موثوقة.

لذلك، تظل كل التقديرات المتداولة حول حجم الخسائر وتكاليف إعادة الإعمار تقريبية ومفتوحة على الزيادة، لأن واقع الحرب لا يسمح بوضع تقدير نهائي. كما أن تكلفة الإعمار لن تقتصر على إعادة بناء ما دُمِّر، بل ستشمل أيضًا معالجة الخسائر البشرية والمؤسساتية، وهي أعباء يصعب قياسها بالأرقام وحدها.

التحديات: عقبات في طريق الإعمار

الوضع السياسي الهش :

يستغل قادة الجيش السوداني عملية الإعمار لتعزيز هيمنته عبر شراكات مع شركات صينية، مثل اتفاقيات إعادة بناء الموانئ والطاقة النووية، وما رشح في الإعلام غير الرسمي عن اتفاقيات وتفاهمات بعض وزراء حكومة الأمر الواقع مع فاعلين ومؤسسات في دول مجاورة عن مشاريع وشراكات واتفاقات مما يهدد الشفافية. كما أن غياب حكومة مدنية شرعية مستقلة قد يعيق تنفيذ إصلاحات مؤسسية ضرورية لاستقطاب التمويل الدولي.

نقص التمويل: تُقدَّر تكلفة الإعمار مئات المليارات دولار أضعاف خسائر الحرب، لكن السودان يعاني من ديون خارجية ضخمة، تضاعفت بسبب الحرب لو يعتقد أنها تجاوزت

ما يفوق الـ60 مليار دولار. كما أن المساعدات الدولية مشروطة بإصلاحات قد تزيد الأعباء على المواطنين، مثل خفض الدعم الحكومي.

الفساد وسوء الإدارة

تاريخ من «الاقتصاد السياسي» القائم على المحسوبية وتمكين نافذي الحزب الحاكم خلال العقود الثلاثة قبل الثورة عام 2019، وما شاب تلك الحقبة من فساد لم يسبق له مثيل في تاريخ السودان يهدد بتوجيه الموارد نحو النخب بدلًا من المشاريع التنموية.

الفرص: موارد ذاتية واستراتيجيات مبتكرة

حشد الموارد الذاتية

- يمتلك السودان ثروات طبيعية هائلة، مثل الذهب (إنتاج سنوي ~40 طنًا واحتياطيات تُقدَّر بـ1،000 طن)، التي يمكن تعظيم عائداتها عبر مكافحة التهريب.
- الزراعة: إمكانية استعادة الإنتاج عبر مشاريع ري حديثة وتنمية المناطق المهمشة.

الشراكات الدولية والإقليمية

- يمكن للسودان الاستفادة من عضويته في المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأفريقي لضمان دعم مالي وفني، مع التركيز على الشراكات مع دول مثل الإمارات ومصر.
- تجربة رواندا في جذب الاستثمار الأجنبي عبر تحسين بيئة الأعمال وتقديم حوافز ضريبية.

الإصلاح المؤسسي والمصالحة

- تحقيق العدالة الانتقالية ومحاسبة مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان لاستعادة ثقة المجتمع.
- إعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس ديمقراطية، مع إشراك المجتمع المدني في صنع القرار.

دروس من تجارب دولية: إعادة الإعمار ليست مستحيلة

- رواندا: نجحت في تحقيق «المعجزة الاقتصادية» عبر المصالحة الوطنية والاستثمار في البنية التحتية الرقمية.
- كولومبيا: اعتمدت على الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتمويل مشاريع البنية التحتية بعد انتهاء النزاع المسلح.
- العراق: حصل على مساعدات دولية ضخمة (~200 مليار دولار) لإعادة التأهيل، رغم التحديات الأمنية.

التحديات: عقبات في طريق الإعمار.

الوضع السياسي الهش

- يستغل الجيش السوداني عملية الإعمار

لتعزيز هيمنته عبر شراكات مع شركات صينية، مثل اتفاقيات إعادة بناء الموانئ والطاقة النووية، وما رشح في الإعلام غير الرسمي عن تفاهمات واتفاقيات لبعض وزراء حكومة الأمر الواقع مع جهات خارجية في الدول المجاورة مما يهدد الشفافية. كما أن غياب حكومة مدنية مستقلة يعيق تنفيذ إصلاحات مؤسسية ضرورية لاستقطاب التمويل الدولي

نقص التمويل

تُقدَّر تكلفة الإعمار بمئات المليارات دولار أضعاف خسائر الحرب في الوقت الذي يعاني فيه السودان من ديون خارجية ضخمة، تضاعفت بسبب الحرب ويعتقد انها بلغت ما يفوق المئة مليار دولار. كما أن المساعدات الدولية مشروطة بإصلاحات اقتصادية قد تزيد الأعباء على المواطنين خاصة في خفض الدعم الحكومي وانعكاس ذلك على المواطنين المنهكين بتوقف أعمالهم ونزوحهم وتشردهم بسب الحرب

- الفساد وسوء الإدارة

- تاريخ من «الاقتصاد السياسي» القائم على المحسوبية والفساد المنتشر في ظل أنظمة شمولية قاهرة وغياب الشفافية يهدد بتوجيه الموارد نحو النخب بدلًا من المشاريع التنموية.

الفرص: موارد ذاتية واستراتيجيات مبتكرة

حشد الموارد الذاتية

- يمتلك السودان ثروات طبيعية هائلة، مثل الذهب (إنتاج سنوي ~40 طنًا واحتياطيات تُقدَّر بـ1،000 طن)، التي يمكن تعظيم عائداتها عبر مكافحة التهريب..

- الزراعة: إمكانية استعادة الإنتاج عبر مشاريع ري حديثة وتنمية المناطق المهمشة

الشراكات الدولية والإقليمية

- يمكن للسودان الاستفادة من عضويته في المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأفريقي لضمان دعم مالي وفني، مع التركيز على الشراكات مع دول مثل الإمارات ومصر. والاستفادة من تجربة رواندا في جذب الاستثمار الأجنبي عبر تحسين بيئة الأعمال وتقديم حوافز ضريبية.

الإصلاح المؤسسي والمصالحة

- تحقيق العدالة الانتقالية ومحاسبة مرتكبي انتهاكات حقوق الإنسان لاستعادة ثقة المجتمع.

- إعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس ديمقراطية، مع إشراك المجتمع المدني في صنع القرار.

دروس من تجارب دولية: إعادة الإعمار ليست مستحيلة:

- *رواندا*: نجحت في تحقيق «المعجزة الاقتصادية» عبر المصالحة الوطنية والاستثمار في البنية التحتية الرقمية.

- *كولومبيا*: اعتمدت على الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتمويل مشاريع البنية التحتية بعد انتهاء النزاع المسلح.

- *العراق*: حصل على مساعدات دولية ضخمة (~200 مليار دولار) لإعادة التأهيل، رغم التحديات الأمنية.

الخاتمة: طريق طويل نحو الاستقرار

لقد دمّرت الحرب في السودان كافة ركائز الاقتصاد، من الزراعة إلى الصناعة والبنية التحتية، وأحدثت نزيفًا في رأس المال البشري لا يقل خطرًا عن الدمار المادي. *تُقدّر الخسائر المباشرة بأكثر من 100 مليار دولار*، بينما الخسائر غير المباشرة (البشرية والإنتاجية) يصعب قياسها.

إن تعافي الاقتصاد السوداني لن يكون ممكنًا دون:

1. وقف الحرب بشكل كامل
2. إطلاق برامج إعادة إعمار شاملة
3. استثمارات ضخمة في الإنسان قبل البنية التحتية.
4. تعزيز الشفافية وجذب استثمارات أجنبية ذكية.
5. دعم دولي غير مشروط وحكومة مدنية قادرة على الإصلاح.

رغم التحديات، فإن إعادة إعمار السودان ممكنة عبر توظيف الموارد الذاتية وبناء سلام مستدام.

* خبير مصرفي ومالي مستقل
Freelance Banking، Finance & Financial Consultant
Email: O.sidahmed09@gmail.com
Mob: +97150988121

أوقفوا الانزلاق

تيغراي على صفيح ساخن..
هل تتحول إلى ساحة حرب بين إثيوبيا وإريتريا؟

ملخص

- تصاعد التوتر بين البلدين يُهدد بتحويل تيغراي إلى ساحة معركة، ما قد يمتد تأثيره إلى السودان وأمن البحر الأحمر. جيش تيغراي القوي والخبير قد يلعب دورًا محوريًا في الصراع، رغم رغبة الشعب في تجنب الحرب بعد معاناة الإبادة الجماعية (2020–2022).

- نظام أسياس أفورقي يسعى لبناء دولة قوية على حساب جيرانها، خاصة إثيوبيا وتيغراي. جرائم إريتريا موثقة (مثل مجازر أكسوم واغتصاب النساء)، وهدفها تحويل تيغراي إلى «أرض قاحلة». بعض قادة تيغراي المتورطين في جرائم سابقة قد يتعاونون مع إريتريا هربًا من المحاسبة.

- الحرب قد تطول وتُعيد تشكيل خريطة القرن الأفريقي، خاصة مع ضعف الاهتمام الدولي (الانشغال بأوكرانيا والشرق الأوسط). دول مثل الإمارات والسعودية وإيران قد تتدخل لتوجيه نتائج الحرب. العبء الأكبر سيتحمّله مدنيو تيغراي، الذين يعانون بالفعل من تبعات الحرب السابقة.

- الخيار الأمثل لتيغراي هو السلام عبر التنفيذ الكامل لاتفاق بريتوريا (2022) والتعافي الداخلي. إذا اندلعت الحرب، يجب تقصير مدتها بكل الوسائل (عسكريًا أو دبلوماسيًا). التعايش السلمي بين تيغراي وإثيوبيا وإريتريا هو الحل الاستراتيجي الوحيد المستدام للمنطقة.

بقلم الجنرال تسادكان ج. بايرو

مع تصاعد التوترات بين إثيوبيا وإريتريا، تقف منطقة تيغراي في قلب صراع وشيك، كما يكتب أحد قادة النضال المسلح في تيغراي ضد الدرق .

في أي لحظة، قد تندلع حرب بين إثيوبيا وإريتريا. ستمتد إلى المنطقة المجاورة بأكملها، بما فيها السودان، وسيتأثر أمن البحر الأحمر بشكل مباشر. وسيكون إقليم تيغراي، الذي يمتلك جيشًا قويًا ومدربًا تدريبًا جيدًا وذو خبرة، وهو محوري في إدارة هذا الصراع ونتائجه.

في الظروف العادية، كان تيغراي سيتجنب مثل هذا الصراع ويسعى إلى السلام. لقد عانينا بما فيه الكفاية. وبينما قد يضيق خيار السلام، مما يجعل الحرب الخيار الوحيد، يجب دراسة جميع السبل النهائية لتجنب الصراعات على وجه السرعة.

بعد اتفاقية بريتوريا للسلام في 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2022، تدهور تحالف الحكومتين الإثيوبية والإريترية تدريجيًا لدرجة أن الحرب تبدو حتمية. الاستعدادات في مراحلها الأخيرة. طبيعة الاستعدادات للحرب تجعل من الصعب جدًا كبح جماحها بعد مرحلة معينة من العملية.

تقع منطقة تيغراي عند نقطة التقاء جيوسياسية وتاريخية وثقافية وسياسية حاسمة مع الحرب الوشيكة.

سلوك الدولة المفترسة

أُفضّل أن تختار تيغراي السلام. لقد عانت بما فيه الكفاية. لكن في هذه الأوقات العصيبة التي يختار فيها القادة العنف بدلًا من المفاوضات، فإن احتمال فرض الحرب وتحوّل تيغراي إلى ساحة معركة بين أسمرة وأديس أبابا أمرٌ واقع.

تتمتع منطقة تيغراي بأهمية سياسية خاصة تفوق مساحتها بكثير. فموقعها الجغرافي والثقافي والتاريخي بالغ الأهمية لما يحدث في منطقة القرن الأفريقي. تحد تيغراي إريتريا والسودان من حيث حدودها الدولية. وتحدها داخليًا منطقتا أمهرة وعفر. وهذا ما يجعلها حيوية للغاية في خطط الحرب التي ينفذها الآخرون.

لقد لاحظتُ سلوكَ الدولةِ الاستغلاليَّ المُستمرَّ لإريتريا منذ استقلالها. فهو يقوم على استغلال الدول المحيطةِ بها، وخاصةً إثيوبيا والسودان. منذ البداية، أراد أسياس أفورقي وأتباعه إعطاء

الدولة الإريترية طابعًا يجمع بين القوة العسكرية التي تتمتع بها إسرائيل، ومحاكاة النجاح الاقتصادي الذي حققته سنغافورة، والرفاهية الاجتماعية التي تتمتع بها الدنمارك في الوقت نفسه.

أرادوا تحقيق ذلك ليس بالاعتماد على مواردهم الوطنية، وهو أمرٌ كان من الممكن تحقيقه، بل على حساب جيرانهم. وكانت الأداة السياسية لتحقيق هذا الهدف هي «الجيش الإريتري الجبار» الذي شُكّل خلال الكفاح المسلح الذي استمر 30 عامًا.

القضاء على تيغراي

أدى هذا التوجه السياسي إلى مواجهة بين إسياس والدولة الإريترية وإخوانهم جنوب نهر مرب. ومن وجهة نظر أسياس وأتباعه، فإن العقبة الرئيسية أمام تحقيق حلمهم هي تيغراي.

حاولوا إبادة شعب تيغراي، كما حدث في حرب الإبادة الجماعية الأخيرة (2020-2022) التي شُنت بالتنسيق مع الحكومة الإثيوبية. والآن، تستعد دولة إريتريا مجددًا لخوض حرب لإنهاء ما أسماه أسياس «تيكوليفنا»، أي أننا شعرنا بالإحباط بعد اتفاقية بريتوريا لوقف الأعمال العدائية.

إن الانتقال من «انتهت اللعبة» في بداية الحرب إلى «تيكوليفنا» بعد اتفاقية كوها هو مظهر واضح لنوايا أسياس.

لهذا السبب، يعيش شعب تيغراي أزمة وجودية مجددًا. فالانقسامات السياسية في تيغراي تعني أن من يرغب في حماية نفسه من المساءلة عن جرائمه الماضية والحالية يُفضّل الانحياز إلى إريتريا، الدولة التي غزت تيغراي عام 2020.

السلوك الإريتري موثق جيدًا. لقد قتلوا كل رجل في سن الخدمة العسكرية. اغتصبوا نساءنا. نهبوا ممتلكاتنا. كان هدفهم تحويل تيغراي إلى أرض قاحلة.

مع ذلك، فإنّ من ينتمون إلى جبهة تحرير شعب تيغراي المتشرذمة والجيش، ممن يرغبون في حماية ماضيهم وحاضرهم، يُفضّلون حماية أنفسهم بالانضمام إلى تحالف أسياس. ويعتقدون بذلك أنهم سيستخدمونه ونظامه للإطاحة برئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد، ثمّ ينقلبون على أسياس. لم يفارقهم شغفهم بالسلطة مع الإفلات التام من العقاب، ولم تتضاءل لا مبالاتهم بمصير شعب تيغراي.

معضلة المشروع الوطني

تدرك الدولة الإريترية والحزب الحاكم أهمية

تيغراي، ويواجهان مأزقًا، لا يمكن ترسيخ مشروعهما الوطني دون القضاء على إخوانهم الناطقين بالتغرينية جنوبًا. وفي الوقت نفسه، يدركان أنه بدون الدعم الكامل من تيغراي، لن تكون لديهما فرصة للبقاء، ناهيك عن الانتصار في حرب ضد إثيوبيا.

النتيجة هي أن أولئك الذين ذبحوا إخواننا من شعب تيغراي في أكسوم ومريم دينجلات وارتكبوا جرائم حرب في جميع أنحاء تيغراي يسعون الآن إلى التعاون مع القيادة السياسية والعسكرية في تيغراي.

قادة تيغراي المشتبه بتعاونهم هم من زعموا حماية الوضع السياسي القائم منذ أكثر من 30 عامًا. أما القادة الخائفون من المساءلة، والذين يسعون إلى الحفاظ على الوضع الراهن ويعارضون الإصلاح السياسي المقبول على نطاق واسع، فيُشتبه في تعاونهم مع أسياس.

الحفاظ على السلام

قد يؤدي هذا الوضع إلى حرب تتعارض مع رغبة شعب تيغراي المعلنة. فبعد حرب إبادة جماعية شنتها قوات الدفاع الإثيوبية والإريترية بشكل مشترك، واتفاقية بريتوريا التي تلتها، فإن أفضل موقف سياسي لتيغراي هو الحفاظ على السلام الهش، والمطالبة بالتنفيذ الكامل لاتفاقية بريتوريا، والعمل على تنفيذها.

وقد تم التعبير عن هذا الموقف بصوت عالٍ من قبل شعب تيغراي سواء في الداخل أو الخارج.

إن أية حرب بين البلدين لديها القدرة على أن تطول، على الرغم من أن كلا الطرفين سيخبرك ويحاول إقناعك بأنها ستكون قصيرة وحاسمة.

نتائج إقليمية مدمرة

مهما كانت مدتها وكيفية خوضها، فقد تكون لها عواقب وخيمة على المنطقة. فعندما تنتهي الحرب، لن تبقى جغرافية الدول كما نعرفها الآن كما هي. ستشهد منطقة القرن الأفريقي بأكملها، وما وراءها، إعادة تنظيم سياسية كبرى في منطقة البحر الأحمر.

قد تُشن هذه الحرب في وقتٍ تتجه فيه أنظار الأطراف الدولية الفاعلة إلى أجزاء أخرى من العالم (أوكرانيا وروسيا، والشرق الأوسط، وجمهورية الكونغو الديمقراطية في أفريقيا). وستكون الدول الغنية في الشرق الأوسط، مثل الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، وإيران، ومصر، وتركيا، هي الأطراف الحاسمة في تشكيل نتائج الحرب.

وسوف يكون العبء الأكبر من هذه الحرب حاضرًا في تيغراي، ساحة المعركة التي سيتقرر فيها مصير الحرب.

بالنسبة لتيغراي، الخيار الأمثل هو تجنب الحرب والالتزام بالتنفيذ الكامل لاتفاقية بريتوريا والعمل على التعافي السريع. وهذا يعني اتباع سياسة التعايش السلمي مع إريتريا وسياسة الردع لتجنب الحرب. إن مصلحة تيغراي تكمن أولاً في تجنب الحرب، وإن لم يكن ذلك ممكناً، في تقصير مدتها، والحفاظ على بقائنا.

من الواضح الآن أن الاتفاق في خطر. يقع على عاتق الحكومة الإثيوبية والشركاء الدوليين في اتفاق السلام (الرعاة والمراقبون) مسؤولية التدخل وتفادي حرب كارثية أخرى في منطقتنا في اللحظة الأخيرة.

في حال فشل الجهود لردع الحرب، فإن إنهاء الحرب في أقصر وقت ممكن وبكل الوسائل (عسكرية أو دبلوماسية) هو في مصلحة تيغراي والمنطقة.

لكن هناك خيار آخر يتمثل في تعايش تيغراي المُصلَحة داخل إثيوبيا مع إريتريا المُصلَحة على حدودها. وهذا، بلا شك، هو الخيار الاستراتيجي الذي سيُرحّب به الجميع في تيغراي وإثيوبيا وإريتريا والمنطقة بأسرها والمجتمع الدولي.

الجنرال تسادكان ج. بايرو ، مقاتل تحريري سابق وأحد قادة الكفاح المسلح في تيغراي (1976-1991) ضد نظام الدرق، ضمن صفوف جبهة تحرير شعب تيغراي والجبهة الديمقراطية الثورية للشعب الإثيوبي. رئيس أركان قوات الدفاع الإثيوبية (1991-2001). عضو القيادة المركزية لحرب المقاومة في تيغراي (2020-2022). عضو فريق التيغري في اتفاق بريتوريا لوقف الأعمال العدائية الدائم (نوفمبر 2022). نائب رئيس الإدارة الإقليمية المؤقتة لتيغراي (2023 حتى الآن)

لابد أن يدفع أحدهم الثمن

طاهر المعتصم
taherelmuatsim@gmail.com

ملخص

تحالفات خفية وتورط الإسلاميين في الانقلابات:

- كشفت التحقيقات مع قيادات سابقة (مثل الفريق هاشم عبدالمطلب) عن تحالفات بين العسكر والحركة الإسلامية منذ عهد البشير، حيث خططوا للسيطرة على السلطة بعد سقوطه.
- شخصيات مثل علي كرتي وأحمد هارون (المطلوب للمحكمة الجنائية الدولية) لعبت أدوارًا في فض اعتصام 2019 وحماية مصالح النظام السابق.

دور الدعم السريع في تفجير الأزمات

- تمويل الانقلابات: شارك حميدتي في انقلاب أكتوبر 2021، وكشف لاحقًا عن وجود «انقلابين» (واحد ظاهر وآخر خفي) لاستعادة نظام البشير.
- التواطؤ مع الإسلاميين: رغم العداء الظاهري، هناك تعاون خفي بين بعض قيادات الدعم السريع والإسلاميين لتعطيل الاتفاق الإطاري.

حرب المصالح والوكالة:

- الصراع الحالي ليس عسكريًا فحسب بل هو حرب بالوكالة بين دول خارجية (مثل الإمارات ومصر) ومجموعات محلية (الإسلاميون، حركات جوبا).
- تكتيك المماطلة: تأخر تشكيل الحكومة واختيار رئيس وزراء مقبول دوليًا يُظهر محاولات إفشال الانتقال السياسي.

الضحايا والمساءلة:

- 15 مليون سوداني نزحوا أو لجأوا بسبب الحرب، بينما المجرمون يتهربون من المحاسبة.
- المقال يطالب بدفع الثمن من قبل المتورطين، سواءً كانوا عسكريين أو سياسيين أو داعمين خارجيين.

وهدير المظاهرات في شوارع الخرطوم في أبريل 2019، وسقوط البشير واعتلاء البرهان السلطة، سألت أحد قيادات نظام البشير والإخوان المسلمين، ماذا أنت فاعل، رد أن شيخ علي كرتي قد نظم الأمور مع القيادة الجديدة لفترة شهرين يستطيع الإخوة أن يرتبوا أمورهم، بحثت عن تأكيد للمعلومة فوجدت تطابقًا تامًا عند زميل، السيد كرتي صاحب مئات قطع الأراضي ووزير خارجية أسبق ومتهم محظور من قبل وزارة الخزانة الأمريكية.

في الوقت نفسه الذي دفع فيه أحمد هارون نائب رئيس الحزب الحاكم وقتها والمطلوب للمحكمة الجنائية الدولية، بقوات لفض اعتصام القيادة العامة في الثامن من أبريل 2019، وعندما التقى الراحل الإمام الصادق المهدي، الذي لوح بأنها سيصلي الجمعة في القيادة العامة مع المعتصمين، رد هارون (لن تجد أحدًا)، لكن تقديرات المولى خالفت تقديرات (هارون)، والرجل خاضع للعقوبات الأمريكية وكانت هناك جائزة لمن يدل عليه، وقبلها مطلوب للمحكمة الجنائية الدولية.

مقطع فيديو لرئيس الأركان السابق الفريق هاشم عبدالمطلب وهو يخضع للتحقيق بواسطة قائد الدعم السريع، يؤكد أنه حركة إسلامية منذ أن كان ملازمًا، وأن عوض الجاز وعلي كرتي ونافع علي نافع والزبير محمد الحسن هم قادته، وأمروه ألا يقوم بانقلاب درءًا للدماء، يبدو أن الرجل لم تتوفر له المعلومات الكافية بالاتفاق الوارد في الفقرة الأولى من هذا المقال.

ورمضان يجرجر عشرته الأخيرة، والشباب السوداني السلمي معتصم أمام قيادة قوات الشعب المسلحة، انفتحت أبواب الجحيم فجرًا قتلًا واغتصابًا وغرقًا في النيل، الدعم السريع اعتقل لواء ملحق به خلال تلك الأحداث، اللواء أحد منسوبي الحركة الإسلامية وضابط بالجيش.

العام 2019 في نهايته، تهبط مطار الخرطوم القيادية بالحركة الإسلامية سناء حمد، ويكلفها الأمين العام للحركة بالتحقيق في أحداث التغيير، وتقوم بالمهمة وتقول إنها حققت حتى مع القيادات العسكرية، وتتلي على كل من حققت معه أقواله، كما ذكرت في برنامج قبل شهور، سناء نفسها قالت لمذيع قناة الجزيرة إن لا بأس من التفاوض مع قوات الدعم السريع إن جنحوا للسلم، أما القوى المدنية لا طريق للتفاوض معهم.

في 21 سبتمبر 2021 محاولة انقلابية تكاد تطيح بالسلطة الانتقالية، يتم التفاوض مع الانقلابيين، وينزع فتيل الأزمة، وتتسرب الأقوال في المحكمة التي جرت، وعند الحرب تجد المدانين في المحاولة الانقلابية في مقدمة الصفوف.

انقلاب أكتوبر 2021 كان بتمويل من قيادة الدعم السريع، وحشد لبعض القادمين من اتفاق جوبا، يمسكون بالمايكرفون ويهتفون (الليلة ما بنرجع إلا البيان يطلع)، يحدث الانقلاب وفي خلال 72 ساعة، يكتشف من موله أن هناك انقلابين أحدهم معلن والآخر خلف الأكمة، يعود عبره النظام السابق كما قال حميدتي .

مسودة وثيقة دستورية من اللجنة التسيرية لنقابة المحامين، تتطور لتصبح الاتفاق الإطاري، يبشرنا به قائد الجيش، لكن في التوقيع نجد أنه يوقع منفردًا وقائد الدعم السريع يوقع منفردًا.

إفطارات رمضانية في العام 2023 يتحدث فيه بعض أهل الإسلام السياسي عن استعدادهم لقطع الطريق على الاتفاق الإطاري المزمع، وتواصل التحشيد خلال الشهر الفضيل، الطرف الآخر الدعم السريع أيضًا واصل تحشيده ووصل إلى مدينة مروي شمال السودان.

في تقديري أن أهداف هذه الحرب السياسية لمشعليها لم تتحقق بالسرعة التي كانوا يعتقدون أنها يمكن تنتهي بها، في قول 6 ساعات وفي رواية العطا أسبوعين، كما أن تغير المشهد بفاعلين آخرين من حركات جوبا المسلحة وغيرها، ومحاولة الفريق ياسر العطا التي أشار إليها الفريق البرهان مؤخرًا، بمحاولته تأسيس تحالف سياسي عماده مجموعات شبابية ديسمبرية، وتأني البرهان في تشكيل حكومة والاتيان برئيس وزراء من قبل الحاضنة السياسية المتنوعة ما بين إسلاميين وحركات جوبا المسلحة ومليشيات أخرى، تسبب في تذمر البعض.

خصوصًا حديث الدكتور عبدالحي يوسف، الأخ المسلم، الذي قال إن لديهم إسلاميين في مكتب قائد الجيش، قائد الجيش بحسب معلومات أسس قوة مكان ثقته تلقت تدريبات رفيعة المستوى.

خلاصة القول إن هذه الحرب التي تأثر بها حوالي 15 مليون سوداني وسودانية بشكل مباشر، نزوحًا ولجوءًا، وراهنت عليها دول خارجية، ومجموعات سياسية داخلية، لا بد أن يدفع أحدهم الثمن ولو بعد حين.

الأسطورة .. عن حديقة الكلمات.. عن أيمن هاشم

ملخص

«حديقة الكلمات» مشروع مقاومة ثقافية يحول التراث السوداني إلى جسر للتواصل والحوار في زمن الحرب. عبارة عن مبادرة أدبية أسسها الشاعر والقاص أيمن هاشم، تهدف إلى توثيق وحفظ الأساطير، الفلكلور، والمحكيات الشفاهية السودانية المهددة بالاندثار بسبب الحرب والتهجير، وتعتمد على إعادة صياغة التراث الشفوي بلغة أدبية راقية، مستلهمةً تجارب عالمية مثل كتابات غاليانو في أمريكا اللاتينية.

يُعد المشروع فعلًا مقاومًا لتأثيرات الحرب التي دمرت المؤسسات الثقافية وهجرت المبدعين، عبر تقديم مساحة لنشر الأدب السوداني المتنوع (قصص، نثر، تحليلات ثقافية). يركز على التنوع الإثني واللغوي في السودان، من أساطير الدينكا إلى حكايات شرق السودان، لبناء جسور بين مكونات المجتمع.

أهداف المشروع وشرائحه المستهدفة تتمثل في ثلاث فئات رئيسية: الكتاب الشباب، الباحثون في التراث، والقراء العاديون الراغبون في استكشاف الأدب المحلي. ويتجاوز كونه منصة إلكترونية إلى حراك ثقافي يهدف لإنشاء أرشيف رقمي، وإطلاق مكتبة سمعية، وشراكات مع مؤسسات لنشر الكتب الورقية.

يُوصف المشروع بأنه «مادة قيمة عن التاريخ والاثنولوجيا» (كما قال ممدوح أبارو)، يجمع بين السرد الأدبي والتبسيط للقارئ غير المتخصص، ويساهم في كسر العزلة الثقافية للسودان، ويعيد تعريف الهوية السودانية عبر حوار عالمي بلغة أدبية ترفض التهميش، مستندًا إلى المرويات الشفاهية كأداة لحفظ الذاكرة الجمعية.

وسيلة حسين

تتجمع نتفٌ صغيرة من الحكايا المنسية، من هناك وهنا، في كفِّ أيمن هاشم، الشاعر والقاص، تجيء من كتب قديمة طوتها الأضابير المُهملة، من أفواهِ ومؤانساتِ القرويين النادرة تحت ضوء القمر، أحيانًا يبعثها أصدقاء تهجس بهم آداب المثيولوجيا وسير الأبطال الخرافيين وسحر الغرائبيات. يمسك أيمن بالمحكية الواحدة، يضفرها بقلبه وعقله، وبحماسة الشاعر يُشكل لغتها المُهفهفة المترفة، وبإخلاص المُدوّن يوثق للمحكيات الشفاهية والميثولوجيا وإعادة كتابتها عبر موقع حديقة الكلمات. يعيد إنتاج الغرائبيات والأساطير والأديان والمخاوف، حرصًا عليها من المحو والنسيان، مستلهمًا غناء أهل داكوتا الجنوبية، في محكيات غاليانو عن أمريكا الجنوبية: «أبتاه، ارسم لي العالم على جسدي».

مقاومة الحرب بالذاكرة

يُخبر أيمن أن الحاجة باتت ماسة لإخراج السرد والمحكيات من غياهب الحرب التي قضت على معظم المؤسسات الثقافية وهجرت المبدعين، ولتتنفس الأقلام السودانية غير رائحة البارود.

«يركز المشروع، على القصص القصيرة والنصوص النثرية والكتابات المستلهمة من الفلكلور والأساطير الشعبية والمحكيات المحلية». يقول لنا أيمن ومن ثم يضيف في حديثه مع «أفق جديد»: «يتمدد، أيضًا، ليشمل الأدب الإريتري وأساطير من جنوب السودان، بهدف مقاومة القيود الثقافية وبناء جسر بين المبدعين والقراء، مع الحفاظ على الهوية السودانية في التراث والأساطير المحلية والفلكلور والأمثال والطقوس المنسية والكائنات الخرافية مع تحليلات ثقافية، وحكايات محلية شفاهية توثق للتنوع الإثني واللغوي في مناطق السودان كافة، لإتاحة حراك ثقافي ضروري يحفظ الذاكرة الجمعية، ويؤكد قدرة الأدب السوداني على الخروج من عزلته والحوار مع العالم بلغته الخاصة».

من طوطم الدينكا وحكايات تشكيل الوجود الأزلي في أرض السودان الجائلة، إلى تتبع المحكيات الشفاهية والوصف الأسطوري لتشكيلات المجتمعات في صيرورتها الأولى، للأناشيد الرعوية البكر في سهوب التاريخ وسيرة الحب والطفولة التي لا تنتهي، والملاحم والبطولات وحروب البقاء والفناء وحراسات الشياطين والمردة الخرافيين وقصص الجبال والأنهار المقدسة وطقوس الموت والحياة والأحاجي، يمسك الأبطال الشعبيون فيها، مثلما يراهم أيمن، بغربتهم وأوطانهم. «ينزحون في خيط الشفق كأنهم لاعبو بهلوان، وبسيقانهم الرقيقة الطويلة، يشخبطون الخرائط كطيور السمبر، كأطفال مشاغبين عبروا النهر، أثارهم على الرمل تذروها الريح، أحلامهم خفيفة كهيفات العُشر، يحتفلون بأعياد ميلادهم مع الموت، يطفئون ضحكاتهم بالحوقلة، يتقنون ميتاتهم العبثية، يرمقون الهلاك باستهزاء. أسماؤهم محض أرقام. أعمارهم تُحصى بفواصل عشرية. تاريخهم الونسة، يدحضون النسيان بالتثاؤب. الحياة عِندهم نومة طويلة والموت استيقاظ».

«ليست «حديقة الكلمات» مسرودات تعكس المحكيات والأساطير القديمة والقصص

السودانية لمختلف الثقافات السودانية وحسب، ولكنها أيضًا عمل جبار وألمحي وفكرة ذكية جدًا، لصناعة إلهام جامع، في ظل هذه المتاهة السودانية الماحقة، تريد أن تقول إن تراثنا السوداني، الثقافي والاجتماعي، واحد، ولنا جذر يخرج من هذه الحديقة السودانية الجامحة، التي تتيح أن نتعرف على بعضنا البعض حتى في مثل هذه الظروف الحالكة». يقول الروائي منصور الصويم في حديث مع «أفق جديد» ومن ثم يضيف: «عندما اقرأ أسطورة ما أو محكية ما، عن المساليت أو من سرديات شرق السودان الغامضة، وأنا أنتمي، مثلًا، لجهة أخرى، فإنني اتعرف على تلك الثقافة بكل وجودها المحلي وثقلها التاريخي. أتعرف على الآخر المُغيَّب بطريقة أو أخرى، فهذه المحكيات تكسر هذا الطوق المانع، وتهد الجدران الفاصلة بسبب سياسي أو اجتماعي أو سواهما».

عن الآخر المُغيّب

نشأت حديقة الكلمات كفعلٍ مقاومٍ لحرب المغيبين التي تشهدها البلاد وتهدد كيانها الاجتماعي وتُفكك نسيجها الثقافي، منذ الإغلاق القسري للمؤسسات الفنية وهجرة المبدعين. تقدم مساحةً للأقلام السودانية لنشر القصص القصيرة والنصوص النثرية، ومقالات توثيق الفولكلور والأساطير الشعبية والمحكيات المحلية لحفظ الذاكرة الجمعية من الاندثار، وتعزيز الحوار بين مكونات السودان المتنوعة عبر تسليط الضوء على تنوعه الإثني واللغوي وفي محكياته. «بدأ المشروع قبل عام ونصف العام كمَدوّنة إلكترونية بسيطة لدعم الكتّاب الناشئين، ثم تطور إلى منصة متكاملة تشمل أقسامًا متخصصة مثل نشر الأعمال الأدبية المرتبطة بالواقع والتراث، وأرشيف تفاعلي لفك رموز التراث المنسي، وتوثيق شفهي للتنوع الثقافي عبر مناطق السودان، بالإضافة إلى شراكاتٍ مع مؤسسات ثقافية لنشر كتب ورقية وإطلاق مكتبة سمعية للحكايات الشعبية». ويضيف أيمن: «يستهدف المشروع ثلاث فئات رئيسية: الكتّاب الشباب الباحثين عن منصة لنشر إبداعاتهم بعيدًا عن قيود الحرب، والباحثين في التراث الساعين لفهم الطبقات الثقافية المهددة، والقراء العاديين الراغبين في اكتشاف أدب يعكس تنوع البلاد، ويسعى المشروع لتجاوز كونه منصة إلكترونية إلى حراكٍ ثقافي مقاوم يهدف لتحويل الأدب السوداني إلى جسر للحوار العالمي بلغةٍ ترفض التهميش، وبناء أرشيفٍ رقمي يحمي الذاكرة، وإثبات أن الثقافة قادرة على الصمود حتى في أحلك الظروف».

يصف ممدوح أبارو، حديقة الكلمات، بأنها مادة قيمة عن التاريخ والاثنولوجيا، في قالب حكائي وأسلوب أدبي رفيع، تغوص تنقيبًا في التراث الشفوي والمرويات المحكية بأسلوب لبق وشيق، كما تُسارد التاريخ، بتبسيطٍ يسهُل هضمه لغير المختصين من القُراء المهتمين.

«لإزالة اللبس بين المروية الشفاهية كمنتج سردي وأدبي يتناقله الناس شفاهةً، رأسيًا، عبر الزمان من جيل إلى جيل، وأفقيًا من مكان إلى آخر، فإن الأجناس الأخرى من النصوص والأشعار الثابتة، كالقصص والأمثال، لا تخلُ من إشارات تاريخية أيضًا». يقول الناقد والروائي في حديث مع «أفق جديد» ومن ثم يضيف: «كانت الرواية الشفوية التاريخية يغلب على محتواها السرد التاريخي دائمًا».

ويستشهد أبارو بشروحات الدكتور سيد حامد حريز في دراسته حول مناهج التراث والتاريخ الشفاهي عند العرب 1992. أن التاريخ الشفوي يشتمل وبصورة عامة على «المأثورات الشفاهية» التي تتمتع ببعد تاريخي وتركيب لغوي مميز، حيث يتأصل مضمونها من خلال تداوله عبر الزمان والمكان، كما يشتمل على «الروايات الشفاهية» التي لا تتمتع بالبعد التاريخي والبنية اللغوية، اللتان تميزان المأثرة الشفاهية، كما أنها لا تحتكم إلى قواعد اللهجة العامية الدارجة -تلك السائدة- في المنطقة التي تأتي منها تلك الروايات.

«حضور الرواية الشفوية والمأثرة الشفاهية في ظل التأثر بمنهجية جمع التراث، وكذلك تياري الواقعية الموضوعي وتيار الفكرة التاريخية عند الأوربيين في تدوين تاريخ السودان، كان حضورًا كبيرًا، مما يخلف أثرًا أكبر على مثل هذه المشاريع الكبيرة». يقول أبارو مختتمًا.

أغنية العودة للسودان

السر السيد

ملخص

الأغنية كصوت للاجئين والنازحين:

- أغنية «العودة للسودان» للشاعر أمجد حمزة والمغنية نادية الطيب تعبّر عن حلم الملايين من السودانيين النازحين واللاجئين بسبب الحرب.
- تتناول معاناة الاغتراب القسري عبر مفردات مثل: «البيت، الغربة، الأم، الخال، النيل، القراصة»، التي ترمز للهوية والذاكرة الجماعية.

أسلوب فني يعكس التشظي:

- الأغنية تعتمد على إيقاع النوبة (الموسيقى الصوفية السودانية) لتأكيد الوحدة الوطنية رغم الانقسام.
- التصوير المرئي يُظهر المغنية وطفلها في فراغ مكاني، مع تكرار صورتها المشظاة، رمزًا لتمزق الذات والوطن.

رسالة احتجاجية ناعمة ضد الحرب:

- بعكس بعض الأغاني التي تُهاجم أطراف الصراع، تركّز هذه الأغنية على معاناة الضحايا دون اتهام مباشر.
- الموت في الأغنية ليس رهبةً بل خيارًا مقبولًا مقابل العودة، كما في الأبيات: «الموت واحد والخوف سبعين... نرجع لبيوتنا أخير لينا».

دعوة ضمنية لإنهاء الحرب:

- الأغنية تُذكّر بأن لا عودة آمنة دون سلام وتكشف أن التشبث بالذكريات والأماكن (مثل أمدرمان، شارع النيل) هو مقاومة للنسيان.
- تُعتبر صوتًا جماليًا يرفض تحويل الحرب إلى «طبيعي»، ويدعو لاستعادة الكرامة والإنسانية المفقودة.

جاء تذوقي لهذه الأغنية، ضمن ورقة بحثية بعنوان: (أغاني حرب 15 أبريل في الفترة من 15 أبريل 2023 إلى أكتوبر 2024)، حاولت فيها الكشف عن محتوى هذه الأغنيات وأثره في تأجيج الحرب من جانب، وفي الرغبة في إنهائها من جانب آخر، وعن موقع شعرائها وشاعراتها، ومغنييها ومغنياتها، في تجربة الغناء السوداني الحديث، وعن المجالات التي تحركت فيها وكذلك عن الجهات التي تقف وراء إنتاجها، وقد اعتمدت على الأغنيات التي بُثّت في وسائط التواصل الاجتماعي.

في هذا الحيز سأسلط الضوء على أغنية (العودة للسودان)، للشاعر أمجد حمزة والمغنية نادية الطيب، والأغنية تقع في مجال ما يمكن تسميته، (أغاني الحلم بالعودة).

عن الأغنية:

هي من كلمات وألحان الشاعر أمجد حمزة، صاحب الشهرة الكبيرة منذ سنوات وصاحب عدد مقدّر من الأغنيات التي أنتجت في الفترة موضوع الدراسة، أما المغنية فهي الفنانة الشابة نادية الطيب. على مستوى الأسلوب الشعري يمكن القول إن الأغنية تقع ضمن نمط الشعر الغنائي السوداني المديني السائد، مع ملاحظة أنه لا يلتزم بقافية واحدة، حيث تنتظم قوافيه بما يشبه الدائرة بلازمة تترد مع كل مقطع وهي:

لمتين

قاعدين

لمتين

أما أسلوبها اللحني فينهض على إيقاع (النوبة)، كما أفادني الفنان والموسيقار الشاب محمد آدم.

في المحتوى:

يتشكل الحقل الدلالي للأغنية من مفردات دالة هي: (راجعين، بيت، حوش، غربة، همّك، أمك، خالك، عمك، اشتقت، وحَشك، قراصة، دمعة، دفعة، شارع، نيل، اتذكر، مشتاقين، البوابة، مشتاقة، خايفة، العود، والربابة، الموت، الخوف، بلدنا.. إلخ).

هذه المفردات الدّالة مجتمعة وبتآزرها مع عنوان الأغنية «العودة للسودان» والأسلوب اللحني القائم على إيقاع النوبة، والحضور الواضح للكورس وصلة هذا بالتصوف الذي هو أكبر مشتركات السودانيين، تمثّل احتجاجًا عامًا على الحرب بما هي حرب دون التعرض لمشعليها كما في أغنيات أخرى، وهي بهذا المنحى لا تحكي قصص المتحاربين وإنما تحكي قصص وأحلام ضحايا الحرب، الذين هنا هم الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق.. الأغنية تتحرك في فضاء تقاطع (الذاكرة مع الهوية)، ولهذا السبب نجد ذاك الحضور للأمكنة، «أمدرمان، البوابة، شارع النيل، بحري»، مع ضرورة أن نضع في الاعتبار، أن هذه الأمكنة تأخذ موقعها في الأغنية كدلالة للسودان كله بحسب عنوان الأغنية. تنفجر الذاكرة في مسار آخر للهوية وهو الطعام كواحد من أكبر التحديات التي يواجهها اللاجئ عادة فتقول:

وفطورنا القراصة ودمعة». ثم تذهب في ضخ الحمولات العاطفية التي تتوفر عليها عادة العلاقات الحميمة مع (الأم، الخال، العم، الشلة، الدفعة)، وما بينهم من رحلات وجلسات وجولات ومؤانسات، وحيث هنا تتأكد مرارة الاقتلاع عن الديار ووحشته وتوحشه، ليُصبح حلم العودة حتى وإن كان تكلفتها الموت تأكيدًا على أن أي حياة خارج بيتك، وحوشك، وأكلك وناسك هو الموت عينه.. هو التنفس في الاختناق.

(العمر انحنا متين ضامننو

والخوف الموت الما دايرنو

نرجع لبيوتنا أخير لينا

الموت واحد والخوف سبعين).

أما الذي لفتني على مستوى الصورة وكان خلّاقًا جدًا هو خلو المكان الذي تم فيه تصوير الأغنية من كل ما يشير إلى الاستقرار، فنحن نرى الأم «المغنية» وطفلها في فراغ مكاني عريض، ليس هذا فحسب، وإنما نرى كذلك انقسام صورة «المغنية» إلى صورتين في الكوبلي:

(أتذكّر وتمسكني الوجعة

يا دفعتي والله مشتاقين).

بل إلى عشرات الصور في الكوبلي:

(لمتين

أنا خايفة ومندسة

الموت واحد وكلنا ميتين).

في دلالة على انقسام الذات وتبعثرها وتشظي الهوية.

هذه الأغنية بما أنها تحكي معاناة اللاجئين السودانيين في دول العالم المختلفة والنازحين في مدن وقرى السودان، حيث لا أمن ولا خبز ولا علاج ولا تعليم، إنما تمثل صوتًا قويًا في الدعوة الي إنهاء الحرب، بالضرورة لا إمكان لعودة آمنة والحرب، مشتعلة فالأغنية هنا تعبّر عن احتجاج ناعم ولكنه قوي مفاده أننا نتمزق ونشتاق إلى أصدقائنا.. إلى أهلنا الذين تبعثروا في كل واد ونشتاق إلى بيوتنا وأماكننا.. الى أطعمتنا.. إلى ذكرياتنا، بل نشتاق إلى التئام ذواتنا، واستعادة أرواحنا.

هلال السودان .. فريق بلا مأوى يتحدى الصعاب في دوري أبطال أفريقيا

ملخص

في ظل الحرب الأهلية التي عصفت بالسودان منذ أبريل 2023، وجد فريق الهلال نفسه بلا ملعب ولا وطن، لكنه رغم ذلك تحدى الظروف القاسية وواصل مسيرته في دوري أبطال أفريقيا، محققًا إنجازًا غير مسبوق بوصوله إلى ربع النهائي. وبات الهلال، الذي اضطر إلى الانتقال للعب في موريتانيا، نموذجًا للصمود والعزيمة في وجه الأزمات.

رحلة النزوح والبحث عن الاستقرار

مع اندلاع القتال بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، اضطر الهلال، إلى جانب غريمه التقليدي المريخ، إلى مغادرة السودان بحثًا عن مكان آمن يواصل فيه نشاطه الكروي. وبعد مفاوضات مكثفة، استقر الفريق في موريتانيا، حيث حصل على موافقة للعب في الدوري المحلي، مستخدمًا الملعب الوطني في نواكشوط كأرضٍ له في دوري أبطال أفريقيا.

مدرب الفريق الكونغولي فلوران إيبينغي، الذي تولى المسؤولية منذ عام 2022، تحدث عن تلك الفترة العصيبة قائلاً: «كانت لحظة صعبة للجميع، لم يكن أحد مستعدًا لمغادرة وطنه وترك كل شيء خلفه. غادرنا الخرطوم وسط حالة من الفوضى، واستغرقت رحلتنا إلى بر الأمان وقتًا طويلاً».

التأقلم مع الواقع الجديد

وجد الهلال في الدوري الموريتاني متنفسًا للحفاظ على جاهزيته البدنية والفنية، حيث يخوض منافسات الدوري المحلي إلى جانب استحقاقاته القارية. ورغم التحديات التي واجهته، تمكن الفريق من تحقيق نتائج إيجابية في البطولة المحلية، حيث يحتل المركز الرابع برصيد 37 نقطة مع أربع مباريات مؤجلة.

قائد الفريق، محمد عبد الرحمن، قال في تصريحات إعلامية: «نحن ممتنون لشعب موريتانيا الذي فتح لنا أبوابه ومنحنا فرصة مواصلة اللعب. هذا أمر لا يُنسى، لأن الاستمرار في خوض المباريات كان ضروريًا للحفاظ على لياقتنا ومستوانا الفني».

مسيرة استثنائية في دوري أبطال أفريقيا

لم يكن الهلال مرشحًا بقوة للتأهل عن مجموعته التي ضمت أندية عريقة مثل تي بي مازيمبي الكونغولي، ومولودية الجزائر، ويانج أفريكانز التنزاني، إلا أنه فاجأ الجميع بمستوى مميز مكّنه من تصدر المجموعة الأولى.

بدأ الفريق الأزرق مشواره بفوز ثمين خارج أرضه على يانج أفريكانز، ثم تغلب على مولودية الجزائر، قبل أن يحقق انتصارًا مهمًا على تي بي مازيمبي في نواكشوط. هذا الانطلاقة المثالية جعلته يحسم تأهله إلى ربع النهائي قبل جولتين من نهاية دور المجموعات، وهو إنجاز لم يحققه حتى الأهلي المصري، حامل اللقب وصاحب الرقم القياسي في البطولة.

مواجهة الأهلي.. اختبار حقيقي

يستعد الهلال لمواجهة قوية ضد الأهلي المصري في ربع النهائي، حيث تقام مباراة الذهاب في القاهرة يوم الثلاثاء، بينما يستضيف لقاء الإياب في نواكشوط بعد أسبوع.

تاريخ مواجهات الفريقين في البطولة يشير إلى تفوق الأهلي، الذي فاز خمس مرات ، بينما حقق الهلال ثلاثة انتصارات، لكن هذه المرة، يطمح الهلال إلى كسر هذا التفوق وإحداث مفاجأة مدوية.

محمد عبد الرحمن تحدث عن المباراة قائلاً: «نحن ندرك قوة الأهلي، فهو فريق يملك خبرة كبيرة في البطولة، لكننا سنلعب بروح قتالية عالية. لقد أثبتنا أننا قادرون على تجاوز التحديات، وسنواصل القتال حتى النهاية».

تاريخ الهلال في دوري الأبطال

الهلال ليس غريبًا على الأدوار المتقدمة في البطولة، إذ شارك للمرة الأولى عام 1966 وبلغ نصف النهائي. كما وصل إلى النهائي مرتين، عامي 1987 و1992، لكنه خسر أمام الأهلي المصري والوداد البيضاوي المغربي.

ويُعدّ الهلال من الأندية الأكثر مشاركة في دوري أبطال أفريقيا، حيث يشارك للمرة الرابعة والعشرين على التوالي، ووصل إلى نصف النهائي أربع مرات.